الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر-2- أبو القاسم سعد الله

كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية
قسم اللغة العربية وآدابها

محاضرات في
النص الأدبي القديم (نثر)

مطبوع بيداغوجي موجه لطلبـــة السنة الأولى ليسانس LMD جذع مشترك

السداسي الثاني – نثر –

اعداد الدكتورة : سامية قاع الكاف

السنة الجامعية :2024-2025م

المحاضرة الأولى : مقدمة في دراسة النثر الأدبي وأهم موضوعاته

مقدمة:

كلمة **(الأدب)** في تداولنا اليومي تعني **فن الشعر** و **فن النثر** بأوسع معانيهما، أما **أصل** كلمة أدب في اللغة فتعني **الدعاء إلى وليمة:** يقال أدّب القومّ إذا دعاهم إلى طعام ومنها لفظ " المأدبة ".

ثم تطور معنى الكلمة **(الأدب)** بتطور العرب، وانتقالها من دور البداوة إلى المدنية والحضارة، وفي العصر الإسلامي أصبحت تعني الكلمة فيما تعني: الترويض والتهذيب، بتقويم الأخلاق، والكرم والتسامح ومحبة الفضيلة وحسن التناول، وبهذا المعنى كان في بداية الإسلام فقد ورد لفظ الحديث الشريف: "***أدَّبني ربي*** **فأحسن تأديبي** ".

ثم أخذ معنى الأدب يدل على **طبقة المعلمين والمؤديين** من رجال التربية والتعليم أواخر العصر الأموي وبداية العصر العباسي، والذي أطلق على مهنتهم **(حرفة الأدب)**.

ومع الوقت، طبق مدلول الكلمة فاقتصرت على ما أجيد من **الكتابة والكلام**، سواء أكان ذلك **المنظوم أم المنثور**.

إذا يقسم الأدب إلى نوعين: شعر ونثر، فما هو النثر ؟

هو الكلام الذي لم يُنظم في أوزان وقواف، وكان فيه فن ومهارة وبلاغة ، وهو على ضربين: أما الضرب الأول فهو **النثر العادي** يقال في لغة التخاطب، وليست لهذا الضرب قيمة أدبية، إلا ما يجري فيه أحيانا من أمثال وحكم، وأما الضرب الثاني، فهو **النثر** الذي يرتفع فيه أصحابه إلى لغة فيها فن ومهارة وبلاغة، وهذا الضرب هو الذي يعني النقاد في اللغات المختلفة ببحثه ودرسه،

وبيان ما مر به من أحداث وأطوار. وما يمتاز به في كل طور من صفات وخصائص، ويتمثل في الخطابة، القصص، الأمثال، الحكم، المقامات، الوصايا، الرسائل، النثر المسجوع.

ومن يرجع إلى العصر الجاهلي، وأخباره يجد هذا الضرب الأخير من النثر يلعب دورا مهما في حياة العرب حينئذ، إذ كان عرب الجاهلية شغوفين بالتاريخ والقصص عن فرسانهم ووقائعهم وملوكهم، يقطعون بذلك أوقات سمرهم في الليل وحول خيامهم، وقد دارت بينهم أطراف من أخبار الأمم المجاورة لهم ممتزجة بالخرافات والأساطير.

1- نشأة النثر الفني:

يجد الباحث عنتا كبيرا حينما يحاول تحديد الوقت الذي نشأ فيه النثر الفني في اللغة العربية. إذ إن الباحثين الذين تصدوا لدراسة الأدب الجاهلي قد اضطربوا في تقدير الوجود الأدبي لعرب الجاهلية وبخاصة فيها يتعلق بالنثر، ولم يستطيعوا على الرغم من جهودهم ودراساتهم أن يصلوا في ذلك الموضوع إلى نتيجة ثابتة أو رأي موحد يمكن الاطمئنان إليه.

أما هذه الآثار النثرية المختلفة التي تنسب إلى الجاهليين، فيكاد مؤرخو الأدب يتفقون على عدم صحة شيء منها، والسبب في عدم الثقة بهذه النصوص هو أن وسائل التدوين لم تكن ميسرة في العصر الجاهلي.

2- الآراء حول نشأة النثر الفني في العصر الجاهلي:

يؤكد **زكي مبارك** أنه قد كان للعرب في الجاهلية نثر فني له خصائصه وقيمته الأدبية، وأن الجاهليين لابد وأن يكونوا قد بلغوا في ذلك المضمار شأوا بعيدا لا يقل عما وصل إليه الفرس واليونان في ذلك الوقت، بل أنهم في إنتاجهم الأدبي في النثر لم يكونوا متأثرين تأثراً كبيرا بدولة أخرى مجاورة أو غير مجاورة، وإنما كانت لهم في كثير من الأحيان أصالتهم وذاتيتهم واستقلالهم الأدبي الذي تقتضيه بيئتهم المستقلة، وحياتهم التي كانت أقرب إلى الانعزال. وإذا كانت الظروف

المختلفة لم تساعد على بقاء هذا التراث من النثر الجاهلي، فليس معنى ذلك أن نهدره ونحكم بعدم وجوده.

وإنما يجب أن نلتمسه في مصادر أخرى. ونحن إن فعلنا هذا فسوف نجد بين أيدينا حجة لا تنكر، ودليلا لا يجحد على أن ثمة نثرا جاهليا، ألا وهو القرآن الكريم[1]. فإذا كنا نؤمن بأن هذا القرآن قد نزل لهداية هؤلاء الجاهليين، وإرشادهم، وتنظيم حياتهم في نواحيها المختلفة من دينية، وأخلاقية، وسياسية، واجتماعية، واقتصادية، وأنه كان يخاطبهم وهم بطبيعة الحال لايخاطبون إلا بأسلوب الذي يفهمونه ويتذوقونه، وأنه كان يتحداهم في محاكاته، والإتيان بسورة من مثله ولا يسوغ في العقل أن يكون هذا التحدي إلا لقوم قد بلغوا درجة ما من بلاغة القول، وفصاحة اللسان تجعلهم أهلا لهذا التحدي حتى يصدق معناه، إذا كان هذا كله، وأن القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب وعلى لسان واحد منهم : " **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**"[2] تأكد لنا أن العرب الجاهليين قد عرفوا النثر الفني، وأن القرآن يمكن أن يعطينا صورة– ولو تقريبية– عن شكل هذا النثر، ومنهجه، وحالته التي كان عليها.

ويرى **طه حسين** بأن النثر الفني بمعنى أنه تعبير جميل رصين محكم يستدعي الرؤية والتفكير والإعداد، لا يتصور أن يكون موجودا في العصر الجاهلي، إذ أن هذا اللون من النثر إنما يلائم نوعا من الحياة لم يكن قد تهيأ للعرب إذ ذاك، فهذه الحياة الأولية الفطرية السهلة التي كان يحياها العرب قبل الإسلام لم تكن تسمح بقيام هذا اللون من الكتابة الفنية التي تستدعي بطبيعتها الرؤية، والتفكير، ووجود جماعة إنسانية منظمة تسودها أوضاع سياسية واجتماعية معقدة.

---

[1] ينظر : زكي مبارك : النثر الفني في القرن الرابع ، مؤسسة هنداوي ، 2013م ، ص39.

[2] سورة إبراهيم ، الآية 04.

وهذا النثر المنسوب إلى الجاهليين ليس إلا شيئا منحولا مدسوسا عليهم. حيث إنه على هذا النحو الذي روي به لا يكاد يمثل الحياة الجاهلية تمثيلا كاملا. فهذه الخطب، والوصايا، والسجع، والكلام الذي ينسب لقس بن ساعدة، وأكثم بن صيفي، وغيرهما يكفي أن ننظر إليه نظرة واحدة لنرده بأجمعه إلى العصور الإسلامية التي انتحلت فيها كل هذه الأشياء لنفس الأسباب التي انتحل الشعر من أجلها وأضيف إلى الجاهليين[1].

ويتحدث **شوقي ضيف** عن نشأة النثر الفني في الأدب العربي بقوله: " نحن لا نغلو هذا الغلو الذي جعل بعض المعاصرين يذهب إلى أن العرب عرفوا الكتابة الفنية أو النثر الفني منذ العصر الجاهلي، فما تحت أيدينا من وثائق ونصوص حسية لا يؤيد ذلك إلا إذا اعمدنا على الفرض والظن، والحق أن ما تحت أيدينا من النصوص الوثيقة يجعلنا نقف في مرحلة وسطى بين الرأيين، فلا نتأخر بنشأة الكتابة الفنية عند العرب إلى العصر الجاهلي، بل نضعها في مكانها الصحيح الذي تؤيده المستندات والوثائق، وهو العصر الإسلامي "[2].

3- النثر في العصر الإسلامي:

لم يختلف النثر الفني اختلافا جوهريا في عهد النبوة عن النثر الجاهلي: " دخل النثر العربي في طور جديد بظهور الإسلام، بعد أن تعرضت الحياة الأدبية لانقلاب شامل، وتطور بعيد المدى. ولم يكن ثمة بد من أن يتأثر الأدب بالحياة الجديدة وأن يكون صدى لأحداثها واتجاهاتها.

وكانت مظاهر التطور في النثر أوضح منها في الشعر، لأن الشعر فن تقليدي يترسم فيه الشاعر خطا سابقيه، ويلتزم أصولا محددة، ولذلك يكون أبطأ من النثر استجابة لدواعي التطور"[3]. أما أغراض النثر ومعانيه، فإنه بلا شك قد تغيرت تغيرا محسوسا بظهور الإسلام، و" تلّون النثر

---

[1] ينظر : طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، دار المعارف ، القاهرة ، 2018م ، ص 235.

[2] شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف ، القاهرة ، ص104 .

[3] عمر الدقاق ، مواكب الأدب العربي عبر العصور، ط 1، طلاس، دمشق، 1988م، ص: 77

في هذا العهد بجميع ألوان الحياة الجديدة فكان خطابة، وكتابة، ورسائل وعهودا، وقصصا، ومناظرات، وتوقيعات، وكان على كل حال أدبا مطبوعا. وامتاز النثر في هذا العهد بالإيجاز على سنة الطبيعة العربية الأصيلة "[1].

وهكذا استمر النثر في أثناء العصر الإسلامي في الصورة التي رسمها العصر الجاهلي من حيث نسجه وصوغه، وإن اختلفت موضوعاته، وتشعبت معانيه، فقد اتسعت الخطابة اتساعا شديدا، وأخذ يظهر بجانبها نوع جديد من النثر، لم يكن لعرب عهد به، وهو الكتابة الفنية، أو ام يسميه بعض الباحثين باسم النثر الفني.

4- النثر في العصر الأموي:

كانت الكتابة ضرورة إدارية ملحة لا غنى عنها في إدارة شؤون الدولة والمجتمع، في المكاتبات والدواوين المختلفة. كما كانت ضرورة اجتماعية لا غنى عنه أي المعاملات. وكانت كذلك ضرورة علمية لا غنى عنها في الحركة العلمية التي ازدهرت في العصر الأموي وتعاظمت في أواخره. ونتيجة لذلك كله توسع انتشار الخط واستعمال الكتابة، غبان ذلك العصر، توسعا عظيما، نظرا لإقبال الناس على طلبه.

يقول **شوقي ضيف:** " أن الكتابة نمت في العصر الأموي نموا واسعا، فقد عرف العرب فكرة الكتاب وأنه صحف يجمع بعضها إلى بعض في موضوع من الموضوعات، وقد ألفوا فعلا كتبا كثيرة "[2].

وقد كانت لمن يعرف الكتابة مكانة رفيعة عند الناس، إذ كانوا يعرفون له قدرة، وكان سعيد بن العاص يردد دائما قوله: " **من لم يكتب فيمينه يسرى** "[3].

---

[1] حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ط 3، منشورات ذوي القربى ، 1427هـ ، ص: 322

[2] شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص: 100

[3] القلقشندي (أبوالعباس أحمد بن علي) ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، ، ج1، ص: 37

لعل من أهم الأسباب التي هيأت لرقي الكتابة الفنية في هذا العصر:

1/- تعرب الدواوين في البلاد،

2/- وتعقد الحياة السياسية،

3/- وكثرة الأحزاب والمذاهب.

وقد تجلت بواكير الكتابة في أواخر العصر الأموي بفضل موهبة عبد الحميد بن يحي الكاتب. ولقد أجمع النقاد والمؤرخون في القديم والحديث على أن عبد الحميد إمام طور جديد في الكتابة العربية، وأنه هو الذي وضع الأساس لهذا المنهج الكتابي الذي اقتفاه الكتاب من بعده، وهو:" أبلغ كتاب الدواوين في العصر الأموي وأشهرهم، وقد ضربت ببلاغته الأمثال "[1]، و " كان عبد الحميد أول من فتق أكمام البلاغة وسهل طرقها وفك رقاب الشعر "[2].

وقال **ابن النديم:** " عنه أخذ المترسلون ولطريقته لزموا، وهو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسل "[3].

إذن لقد تواترت آراء المؤرخين والأدباء منذ القرن الثالث الهجري على أن الرجل ذو مكانة ملحوظة في تاريخ النثر العربي، وأنه ذو أثر عميق في تطور الكتابة الفنية، وأنه قد سن طريقة جديدة سار على نهجها من جاء بعده من الكتاب له رسالة في وصف الصيد والشطرنج، ورسالة إلى الكتاب.

وهكذا تطورت الكتابة الفنية في العصر الأموي، وقد أثبت الباحثون نشأة هذا النوع من الفن النثري بفضل العرب أنفسهم، وفي ظل نظمهم السياسية الجديدة، وليس معنى ذلك إنكار تأثير العناصر الأجنبية في هذا النوع، بل لقد أخذت تشارك فيه مع مرور الزمن، ولكنها مشاركة اتصلت بنموه وتطوره لا بوجوده ونشأته.

---

[1] شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص: 114

[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1942 م ،ج2،ص:106

[3] ابن النديم ، الفهرست ، دارالمعرفة، بيروت، ص: 170

ومازال هذا النوع يتطور في العصر الإسلامي حتى وصل إلى عبد الحميد الكاتب، الذي كان يتصل بالثقافة الفارسية مباشرة، أما الثقافة اليونانية فاتصل بها عن طريق أستاذه سالم الذي كان يعرفها معرفة وثيقة، فأعطى النثر صورته النهائية، وهي صورة اندمجت في صورة المذهب القديم **مذهب الصنعة والصانعين.**

5- النثر في العصر العباسي:

زخر العصر العباسي بالأحداث التاريخية، والتقلبات السياسية، كما زخر بالتطورات الاجتماعية التي نقلت العرب من حال إلى حال، وقد كانا لكل هذا فضلا عن نضج العقول بالثقافة، أثر واضح في تطوير الأدب بعامة، والكتابة بصفة خاصة. لقد تقدمت الكتابة الفنية في هذا العصر تقدما محسوسا، وسارت شوطا بعيدا في سبيل القوة والعمق والاتساع.

و" أصبح النثر العربي في العصر العباسي متعدد الفروع، فهناك النثر العلمي والنثر الفلسفي والنثر التاريخي، والنثر الأدبي الخالص، وكان في بعض صوره امتدادا للقديم، وكان في بعضها الآخر مبتكرا لا عهد للعرب به "[1].

وكان تشجيع الخلفاء والوزراء والرؤساء للأدب وللكتاب باعثا على النهوض بالكتابة، داعيا إلى ارتفاع شأنها، وسمو منزلتها، ثم كان التنافس القوي بين الأدباء وتسابقهم إلى خدمة الخلفاء والرؤساء حافزا على تجويدها والتأنق في أساليبها[2].

" إن الكتابة كانت جواز عبور إلى الوزارة وبعض الوظائف المرموقة في مراق الدولة لذلك كان على الراغبين في الوصول إلى هذه المناصب العليا إتقان صناعة الكتابة حتى يحققوا أهدافهم التي كانوا يطمحون إليها "[3].

---

[1] شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص: 125

[2] ينظر : محمد عبدالمنعم خفاجي، الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي ، دارالجيل، بيروت، 1990م، ص:312

[3] حسين الحاج حسن، أعلام في النثر العباسي ، ط 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1993م، ص: 18

أ- أسباب نهضة النثر في العصر العباسي:

⇦- استقرار الأمور في الدولة واتساع العمران، وما يتبع ذلك من رخاء.

⇦- النضج العقلي وظهور آثار التقدم الفكري في الدولة.

⇦- ظهور أجيال جديدة من المثقفين من أبناء الأمم المستعربة الذين جمعوا إلى الثقافة العربية الأصيلة فنونا جديدة من ثقافات آبائهم الفرس، الهنود واليونان.

⇦- تشجيع الخلفاء والأمراء للكتاب وإغداق الأموال عليهم.

⇦- وصول الكتّاب إلى المناصب الكبيرة جعل الكتابة مطمح كل راغب في الجاه والسلطان.

⇦- التنافس بين الكتّاب في سبيل الإجادة الفنية.

⇦- كثرة المذاهب الكلامية وحاجة كل مذهب إلى التأييد وشرح مبادئه.

وإذا انتقلنا من أصحاب الكتابات الطويلة في العصر العباسي إلى أصحاب الكتابات الرسمية القصيرة، أو أصحاب الدواوين والكتابة الديوانية، وجدنا هذه الجماعة الثانية تسعى إلى إحداث مذهب جديد، هو مذهب التصنيع، وهو مذهب كان يعبر تعبيرا دقيقا عن الحضارة العباسية، وما يطوي يها من تأنق وتنميق. ومازالت مقدمات هذا المذهب تتراءى في الدواوين العباسية حتى إذا كان مطلع القرن الرابع للهجرة، وجدت السجع يعم في دواوين المقتدر.

وما لبث **ابن العميد وزير البويهيين** أن وصل بهذا السجع إلى ما كان ينتظر له من ترصيع بطرائف البديع المعروفة من جناس وطباق وتصوير فيصل **مذهب التصنيع** إلى مرحلة الاكتمال عند ابن العميد لأنه كان يتقن **فن التصوير**، وعلم الحيل " الميكانيكا "، فذهب يحتال في نماذجه حيلا أدته إلى أن يوفر لها كل ما يستطيع من زخارف السجع والبديع. ومن أنصار هذا المذهب **الصاحب بن عباد**، و **أبو إسحاق الصابي** و **الخوارزمي**، و**بديع الزمان الهمذاني**.

غير أن مذهبا ثالثا أخذ يظهر في النثر العربي أكثر تعقيدا وهو مذهب التصنّع الذي كان يقوم على تصعيب رق الأداء، وتعقيدها ضروبا من التعقيد، وأن الإنسان ليشعر كأن التعقيد أصبح غاية في نفسه، فإذا هذا المذهب تتم له صورته عند أبي العلاء المعري، ومن ثم **الحريري** في آثاره و **الحصكفي** في نماذجه.

ويدور الزمن بعد ذلك في العصور الوسطى، فلا يظهر مذهب جديد في صناعة النثر العربي وصياغته، بل يجمد الأدباء عند صورة المذهب الأخير، يمكثون في إطارها حائرين حتى العصر الحديث.

وهذه هي المذاهب، أو المراحل التي مر بها الفن في النثر العربي، فقد بدأ بمرحلة الصنعة، ثم انتقل إلى مرحلة التصنيع، وما لبث أن انتهى إلى مرحلة التصنع، وما لبث أن انتهى إلى مرحلة التصنّع، وتحجر في هذه المرحلة، فلم يستطع منها إفلاتا ولا خلاصا حتى العصر الحديث.

المحاضـرة الثــانية: فن الخطــابة

1- تعريف الخطابة :

أ/ لغة : مأخوذة من الجذر اللغوي "خطب" ، جاء في جمهرة اللغة :"خطب وخطب الرجل خطابة فهو خطيب بين الخطابة ، واسم الكلام خطبة "[1]

وورد في معجم الصحاح :" خطب؛ الخطب : سبب الأمر ، تقول : ماخطبك ، وخطبت على المنبر خُطبة بالضم ، وخاطبه بالكلام مُخَاطَبَةً وخطابًا ، وخَطَبْتُ المرأة خِطْبَة بالكسر، واختطب أيضا فيهما ، والخطيب : الخاطب ، والخطّيبي : الخطْبةُ " [2]

وجاء في لسان العرب :" الخطْب : الشأن أو الأمر ، صغر أو عظم ؛ وقيل : هو سبب الأمر ، يقال : ما خطبك ؟ أي ما أمرك ؟وتقول : هذا خطب جليل ، وخطب يسير ، والخطبُ: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة ، والشأن والحال ،ومنه قولهم : جلَّ الخطب أي عظم الأمر والشأنُ"[3]

من خلال التعريف اللغوي يتبيَّنُ أنَّ دلالة الخطبة لغويا تعني التحدث بكلام ما ، وتحمل مفردات الشأن والأمر والخطب .

ب/ اصطلاحا :

من أقدم فنون النثر فن الخطابة، وهو فن مخاطبة الجماهير بغية الإقناع والإمتاع، بكلام بليغ وجيز. والخطابة قطعة من النثر الرفيع، قد تطول أو تقصر حسب الحاجة إليها" فن مخاطبة

---

[1] الأزدي(أبوبكر محمد بن الحسين بن دريد): جمهرة اللغة ، تح: رمزي منير بعلبكي ، ط1، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ج1، 1987م، ص:291.

[2] الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، مادة " خطب" ، ج1، ص:121.

[3] ابن منظور : لسان العرب ، مادة "خطب" ، ج1، ص: 360.

الجمهور الذي يعتمد على الإقناع ، والاستمالة ، أو هي كلام بليغ يلقى في جمع من الناس لإقناعهم بما فيه الخير لهم في دنياهم وآخرتهم "[1]

وفن مخاطبة الجمهور أسلوب يعتمد على الاستمالة وإثارة عواطف السامعين، وجذب انتباههم وتحريك مشاعرهم، وذلك يقتضي من الخطيب تنوع الأسلوب، وجودة الإلقاء، وتحسين الصوت، ونطق الإشارة.

أما الإقناع فيقوم على مخاطبة العقل ، وذلك يقتضي من الخطيب ضرب الأمثلة وتقديم الأدلة والبراهين التي تقنع السامعين بعذوبة اللفظ ، ومتانة الأسلوب ، وقوة التأثير ، والاقتباس من القرآن الكريم ، والسير على منهجه في الإقناع بالحجة والبرهان ، والتأثير في الوجدان .

وعرفها الفوَّال بقوله :" فن من فنون الأدب النثري ، مختص بكلام يلقى إلقاء أمام جمهور مستمع ، ويهدف إلى توضيح أمر أو قضية هما مثار جدل ، لإفهام هذا الجمهور وتوجيهه واستمالته ، بإثارة عواطفه ، لاتخاذ موقف ما "[2]

2- نشأة الخطابة:

لقد كان للخطابة أثر شديد في نفوس عرب الجاهلية ، فقد اقتضت المنازعات بينهم أن يتفاخروا ويتنافروا فاحتاجوا إلى الخطابة لإقناع واستمالة أفراد قبائلهم ومن ذلك ظهرت خطب المفاخرة والمنافرة.[3]

وفي **العصر الجاهلي** كان العرب يقدِّمون الشاعر عن الخطيب ، وظل الأمر كذلك حتى ظهر الإسلام وغَّير المفاهيم والأفكار المنتشرة آنذاك، فصار الخطيب مقدِّما على الشاعر، ويؤكد الجاحظ ذلك :" وكان الشاعر أرفع قدرا من الخطيب ، وهم إليه أحوج لرده مآثرهم عليهم وتذكيرهم

---

[1] محمد عبد المنعم خفاجي : الحياة الأدبية في العصر الجاهلي ، ص157-158.

[2] أنطوان الفوال : فن الخطابة ،ط1، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1996م، ص11.[2]

[3] ينظر :عبد العزيز عتيق : الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ص438.

بأيامهم ، فلما كثر الشعراء وكثر الشعر صار الخطيب أعظم قدراً من الشاعر" [1] لحاجتهم إليه في الدعوة إلى هذا الدين الجديد وإقناع الناس به واستنهاض الهمم إلى الجهاد.

وكان غالبية خطباء الجاهلية من شيوخ القبائل وحكمائها، وتتميز خطبهم بتخير الألفاظ وتنميقها وتزويقها، إلى جانب قصرها، فكانت الخطب القصيرة هي الشائعة لسهولة حفظها، وكانوا لشدة عنايتهم بها يتوارثونها، ويتناقلونها فيما بينهم ويسمونها بأسماء خاصة.

ثم جاء **الإسلام** فأصبحت الخطابة أداة الدعوة الإسلامية واللسان الناطق لمحاسنها، تشرح للناس أسرار هذا الدين الجديد وتبين مزاياه، وتوضح خفاياه، وتجيب الناس فيه وتدلهم على الهدى والحق والرشد، والصلاح وتجادل خصومها وتفند آراء المخالفين والكفار.[2]

وقد تطورت الخطابة في **صدر الإسلام** عما كانت عليه من قبل بفعل الإسلام، فقد زادها القرآن الكريم بلاغة وحكمة، فكان الخطباء يقتبسون آياته تمثلا أو إشارة أو وعيدا، ويحاكون أسلوبه إعجابا وانبهارا.

أما في **العصر الأموي** فقد ظلَّت الخطابة مزدهرة لكثرة دواعيها الدينية والسياسية والاجتماعية، وقد شارك فيها حتى الزهاد والنساك، وكان الخلفاء والأمراء يخشون الخطباء خشيتهم للشعراء، لما في أقوالهم من تأثير واستمالة لنفوس العرب.

وبمجيء **العصر العباسي** و اهتمام الموالي بسياسة الدولة وقيادة الجيش، "قلَّ النضال بالسنان واللسان، فضعفت الخطابة وتراجعت لعدم القدرة عليها، وقلة الدواعي إليها، وحلَّتْ الرسائل بأنواعها محلها، واقتصرت على خطب الجمع والعيدين والزواج"[3].

3- دواعي الخطبة :

لاشك أنَّ للخطبة أسباب اقتضتها دواعٍ حركت العرب للإجادة فيها ، نذكر منها:

---

[1] الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ) : البيان والتبيين ، ج4، ص 83.

[2] ينظر : علي علي صبح : الأدب الإسلامي المفهوم والقضية ، دار الجيل ، بيروت ، 1992م، ص133.

[3] أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي ، ص223.

أ- تأصل ملكة البيان فيهم ، وقدرتهم على التصرف في أنواع الكلام ، جعلهم يتنافسون في ميدان الخطابة تنافسهم في مضمار الشعر .

ب- الفخر بالأحساب والأنساب والذود عن شرف القبيلة .

ت- التحريض على القتال، وشحذ الهمم وتهييج المشاعر للقيام بواجب العصبية القبلية .

ث- نصرة الضعيف ، وإغاثة الملهوف ، ورد الحقوق ، وحفظ الجوار .

ج- إصلاح ذات البين بين الممتخاصمين .

ح- السفارة بين القبائل وأحيائها ، وبين الملوك وعمَّالهم .

خ- انتشار الأسواق والنوادي التي تستقطب الخطباء كما الشعراء، خاصة سوق عكاظ .

د- شيوع الأمية بينهم ، وتباعدهم في الديار جعل من الخطبة بديلا شفويا يقوم مقام الكتابة والرسائل .

ذ- حرية القول والشجاعة في إبداء الرأي .

- **من أشهر خطباء العرب** : قس بن ساعدة الإيادي ، عمرو بن كلثوم التغلبي ، أكثم بن صيفي التميمي، الحارث بن عباد البكري ، عامر بن الضرب العدواني ، قيس بن زهير العبسي ، عمرو بن معد يكرب الزبيدي ...

4- عناصر الخطابة :

أ/ **المقدمة:** وهي تعمل على الاتصال بالسامعين، واعداد نفوسهم للموضوع وبخاصة إذا كان جديدا قد يستغنى عنها الخطيب إذا لم يجد داعيا لها، ولابد أن تكون موجزة، جذابة متصلة بالموضوع، كهذه المقدمة من خطبة علي بن أبي طالب لمَّا بلغه أنَّ خيلا لمعاوية وردت الأنبار وقتلوا عاملا له : " أما بعد فإن الجياد باب من أبواب الجنة فتح الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع لله الحصينة وجنته الوثيقة"[1].

[1] أحمد الشايب : الأسلوب ، مكتبة النهضة المصرية ، 2003م ، ص 16.

ب/ العرض : وهو العنصر الأساسي في الخطابة، يذكر فيه الخطيب آراء مقسمة منسقة مؤيدة بالبراهين ويرد على خصمه مفندا آراءه معتمدا على حجج منطقية حاسمة أو خطابية مشهورة مع مراعاة لباقة الأسلوب وجمال الألفاظ هادفا إلى الإقناع والتأثير، كما قال علي في هذه الخطبة :" ألا وإنِّي قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا نهارا سرا وإعلانا ، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزى قوم في عقر دارهم ، إلاَّ ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات، وملكت عليكم الأوطان "[1].

ج/ الخاتمة : وهو عنصر هام لأنه تلخيص للموضوع، وفيه جذب للجمهور واستمالة عواطفهم، ويجب أن يكون موجزا واضحاً، قويا داعيا إلى مذهب الخطيب ، جامعاً لأهم عناصر الموضوع، كما ختم ابن زياد على أذلاله ، وأيم الله إنَّ لي فيكم لصرعى كثيرة [2]، "فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي"[3]

5- مميزات الخطابة :

1- وللخطابة ميزات تحدث عنها الجاحظ، منها:

⇦- لها تقاليد فنية،

⇦- لها زي معين وهيأة تمثيلية للخطيب،

⇦- أنها تستدعي احتشاد الناس من وجهاء القوم،

⇦- لها أماكن إلقاء في أماكن التجمعات الكبرى.

2- خصائص أسلوب الخطبة:

⇦- قصر الجمل والفقرات،

⇦- لها جودة العبارة والمعاني،

---

[1] المرجع السابق ، ص 17.

[2] يهدد بأنه سينتقم ممن يخرج عن طوعه.

[3] المرجع نفسه ، ص17.

⇦- شدة الإقناع والتأثير،

⇦- السهولة ووضوح الفكرة،

⇦- جمال التعبير وسلامة الألفاظ،

⇦- التنويع في الأسلوب ما بين الإنشائي والخبري،

⇦- قلة الصور البيانية،

⇦- الإكثار من السجع غير المكلف.

6- أنواع الخطابة:

أ- الخطبة الدينية: التي تعمد إلى الوعظ والإرشاد والتذكير والتفكير.

ب- الخطبة السياسية: التي تستعمل لخدمة أغراض الدولة أو القبيلة.

ج- الخطبة الإجتماعية: التي تعالج قضايا المجتمع الداخلية، والعالقة منها من أمور الناس، كالزواج وغيره.

د- الخطبة الحربية: التي تستعمل بغية إثارة الحماسة، وتأجيج النفوس، وشد العزائم.

هـ- الخطبة القضائية: التي تقتضي الفصل والحكم بين أمور الناس، يستعملها عادة الحاكم أو القاضي.

المحاضـــرة الثـــالثة: الأمثـــال والحكـــم

توطئة :

أبدع معظم العرب في ضرب الأمثال في مختلف المواقف والأحداث فلا يخلو موقف من حياتنا العامة إلا ونجد مثلا ضرب عليه، ولا تخلو خطبة مشهورة ولا قصيدة سائرة من مثل رائع مؤثر في حياتنا.

فالأمثال أصدق شيء يتحدث عن أخلاق الأمة وتفكيرها وعقليتها، وتقاليدها وعاداتها، ويصور المجتمع وحياته وشعوره أتم تصوير فهي مرآة للحياة الاجتماعية والعقلية والسياسية والدينية واللغوية، وهي أقوى دلالة من الشعر لأنه لغة طائفة ممتازة، أما هي فلغة جميع الطبقات.

ولقيت هذه الامثال شيوعا لخفتها وعمق ما فيها من حكمة وإصابتها للغرض المنشود منها، وصدق تمثيلها للحياة العامة ولأخلاق الشعوب، قال النظام: يجتمع في المثل اربعة لا يجتمع في غيره من الكلام إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجوده الكتابة فهو نهاية البلاغة.

1-المثل:

أ- لغة:

الأمثال جمع من المِثل والمَثل ؛ وهوكلمة تَسْوِيَةٍ يقال هذا مِثْله ومَثَله كما يقال شِبْهه وشَبَهه.[1] . لأن الأصل فيه التشبيه، ومثّله به سبّهه ، وتمثَّل به : تشبَّه به.ومثل الشيء بالشيء :سوّيَ

[1] ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين): لسان العرب ، مادة "مثل"، ط1، دار صادر، بيروت ، ج11، ص610.

به[1]. وللعرب أمثال جيدة خلَّفوها لنا تدل على عقليتهم أكثر مما يدل عليها الشعر القصصي، ولعل سبب ذلك يعود إلى أّن المثل يوافق مزاجهم العقل وهو النظر الجزئي الموضعي لا الكلي الشامل، والمثل لا يستدعي إحاطة بالعلم أو شؤون الحياة.

ب-اصطلاحا:

الأمثال هي "العبارة الفنية السائرة الموجزة التي تُصاغ لتصوير موقف أو حادثة ولتستخلص خبرة إنسانية يمكن استعادتها في حلة أخرى مشابهة لها"[2] مثل: "رب ساعد لقاعد" و"إنّ البُغاثَ بأرضنا يستنسر" و"رجع بخفي حنين" و"إياك واسمعي يا جارة" و"رب قول أشد من صول".

كما يعرَّف المثل هي جملة قيلت في مناسبة خاصة، ثم صارت -لما فيها من حكمه- تذكر في كل مناسبة مشابهة، ولكي تصير الجملة مثلاً فلا بد من اشتمالها على الإيجاز وحسن التشبيه وإصابتها المعنى وحسن الكناية.

2- تعريف الحكمة:

الحكمة: قول موجز مشهور صائب الفكرة، دقيق التعبير يهدف الى الخير والصواب، والحكمة تعبير عن خلاصة خبرات صاحبها بالحياة، تتفق الحكمة مع المثل في: الإيجاز- الصدق- قوة التعبير- سلامة الفكرة وتختلف الحكمة عن المثل في أمرين: أن الحكمة لا ترتبط في أساسها بحادثة أو قصة.

أن الحكمة تصدر عن إنسان له خبرته وتجاربه العميقة في الحياة.

---

[1] مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، ط5، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ،1432هـ-2011م ، ص887.

[2] مجموعة من الباحثين : الموسوعة العربية العالمية ، ج2، ص 695.

كما عرف المثل والحكمة بأنهما جمل قصيرة بليغة خالية من الحشو أوحت بها تجارب الحكماء والمعمرين في الحياة والعلاقات بين الناس، وهي ثمار ناضجة من ثمرات الاختبار الطويل، والرأي المحكم.

وقد اشتهر عند العرب في العصر الجاهلي طائفة من اولئك الحكماء، مثل: لقمان عاد وهو غير لقمان الحكيم، المذكور في القرآن الكريم، وأكثم بن صيفي، وعامر بن الظرب، ولبيد بن ربيعة. وبعض هؤلاء يعدون في الخطباء، وحكام المنافرات أيضا. ولا يكاد يوجد في العصر الجاهلي سيد، أو شريف، أو خطيب مشهور إلا أضيفت إليه جملة من الحكم والأمثال.

3-الفرق بين الحكمة والمثل:

والفرق بين الحكمة والمثل، أن الحكمة قول موجز جميل، يتضمن حُكما صحيحًا مسلما به. لأنه نابع من الواقع ومعاناة التجارب في الحياة، مثل: "آخرُ الدواءِ الكيّ، وأولُ الشجرة النواةُ، وإنك لا تجني من الشوكِ العنبَ...".

وأما المثل فهو -في أصله- قول يقترن بقصة أدت إليه، ويدري به اللسان أول مرة، ثم يدخل في نطاق الأمثال حين يستشهد به في مقامات مماثلة، وفي حالات مشابهة للحالة الأولى التي ورد ذلك القول فيها. ولذلك تحكي الأمثال بألفاظها الأصلية، بلا تغيير ولا تصرف، مهما كان وضع المخاطب أو نسق الكلام مثل: تموت الحرة ولا تأكل بثديها، مقتل الرجل بين فكيه، إستنوق الجمل، ثم يدخل في نطاق الأمثال حين يستشهد به في مقامات مماثلة، وفي حالات مشابهة للحالة الأولى التي ورد ذلك القول فيها. كما وتختلف الحكمة عن المثل في أنها تصدر غالبا عن طائفة خاصة من الناس لها خبرتها وتجاربها وثقافتها، بعكس المثل الذي يصدر عن عامة الناس.

وقد دون العرب حكمهم وأمثالهم منذ أوائل العصر الأموي، وهذا مما ساعد على حفظها وتواترها على الألسنة. وأكثر تلك الحكم والأمثال لا يعرف أصحابها وقائلوها، وقد سيقت بأسلوب سهل، لا أثر للصنعة الإنشائية فيه، وبعضها بل أكثرها، يعد من الإنشاء الرفيع، والسبك الجيد.

وكثير منها أشطار موزونة، ربما كانت مقطعة من أبيات كاملة، مثل: "رضيتُ من الغنيمة بالإياب" وهو عجز بيت لمرئ القيس، كما لا تخلو صياغة بعض الحكم والأمثال أحيانا، من خروج على النظام اللغوي. كقولهم: "مكرهٌ أخاك لا بطلٌ" [1].

4- ميزات الأمثال والحكم العربية الجاهلية:

من المعلوم لدى الجميع أن الأمثال العربية في العصر الجاهلي متصفة بمزايا وخصائص تميزها كل تمييز عن أخواتها ومثيلاتها، ومن اظهر وأوضح ميزاتها قلة الألفاظ وكثرة المعاني وسهولتها ووضوحها، والخلو من تكلف البديع، والإيجاز لا الإطناب والتطويل، وجمال الصياغة وحسن التعبير وجزيل اللفظ وقوي التركيب وموجز الأسلوب وسطحي الفكر وسلاسة العبارة وسيولتها وفصاحتها وبلاغتها وقوة التأثير، ولا يلتزم أن يكون المثل صحيح المنحى فقد يشتهر مثل لا يصح معناه في كل وقت، ولكن صادف ظرفاً شهيرًا فاشتهر به، ولما كانت الأمثال نتاج الناس جميعا فقد جمعت الصحيح وغير الصحيح، ولا كذلك الحكمة، فإن الحكمة وليدة عقل متميز ذي ارتفاع فلا بدّ أن تكون صادقة في كل الأحوال.

"وأعظم ما اختصت به الأمثال العربية الجاهلية، جريان الكلمات مع الطبع فليس تكلف ولا زخرف ولا غلو، تسير مع أخلاق البدوي وبيئته، وقال إبراهيم النظام(ت 231هـ): يجتمع في المثل أربع ميزات لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة"[2].

5-أهمية الأمثال والحكم العربية في العصر الجاهلي:

هذا لا يخفى على كل من له أدنى إلمام بالأدب العربي في العصر الجاهلي أن الأمثال العربية لها أهميه الكبرى ومكانة مرموقة في العرب وهي خلاصة وثمرات الناس وتجاربهم، بها

---

[1] أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي ، ط2، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2001م، ص56

[2] عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي ،ط3، دار العلم للملايين، 2008م، ص 76

تنطق ألسنتهم وتصف أحوالهم الفكرية والاجتماعية والأدبية والثقافية والتاريخية والوطنية والأخلاقية، وتترجم واقعهم وآمالهم وآلامهم، في عبارات بليغة موجزة وتعبر في أبلغ بيان عن واقعهم وحياتهم، ويمكن القول أن الأمثال لأي أمه من الأمم هي صوتها القوي وقلبها النابض وضميرها الحي وعقلها الواعي. وقال ابن الجوزية: ففي الأمثال من تأنس النفس وسرعه قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق لا يجحده أحد ولا ينكره وكلما ظهرت الأمثال ازداد المعنى ظهورا ووضوحا، فالأمثال شواهد المعنى المراد، وهي خاصية العقل ولبه وثمرته. وقال الإمام السيوطي في تعريف المثل نقلا عن المرزوقي صاحب كتاب «شرح الفصيح» إنه: جملة من القول مقتضبة من أصلها أو مرسلة بذاتها، فتتسم بالقبول وتشتهر بالتداول ، فتنتقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها، من غير تغيير يلحقها في لفظها ، وعما يوجه الظاهر إلى أشباهه من المعاني، فلذلك تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها، واستجيز من الحذف ومضارع ضرورات الشعر فيها ما لا يستجاز في سائر الكلام.

ونجد أبا إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي قد عرف المثل بقوله "المثل ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه، حتى ابتذلوا فيما بينهم، وفاهوا به في السراء والضراء واستدروا به الممتنع من الدر ووصلوا به المطالب القصية، وتفرجوا به عن الكرب والكربة وهو من أبلغ الحكمة لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة"[1].

وأن العرب كانوا ذا نفوس حساسة وأولوا غيرة وأصحاب ارتجال، فدفعهم كل ذلك إلى مساهمة كبيرة في الأمثال، واستخدموها في كل مجال من المجالات المختلفة، فلا يخلو موقف من حياتنا العامة إلا ونجد مثلا ضرب عليه، ولا تخلو خطبة مشهورة ولا قصيدة سائرة من مثل رائع مؤثر في حياتنا.

[1] ابن الاثير (عزالدين أبو الحسن علي بن محمد): الكامل ، ط2، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1976م، ص 85.

6- تطور الأمثال والحكم العربية الجاهلية عبر التاريخ:

من المعلوم لدى الجميع أن نشأة الأمثال العربية كما نشأت في العصر الجاهلي وتطورها كما تطورت لا يمكن تحديدها بالنسبة، لأن المعلومات عنها ما وجدت مكتوبة كالخطابة بأن الكتابة ما كانت رائجة في ذلك العصر كيومنا هذا، ولكنها –كما علمت بالدراسة والمطالعة– فن قديم يصاغ انطلاقا من تجارب وخبرات عميقة، يحمل تراث أجيال متلاحقة، يتناقلها الناس شفاها أو كتابة، تعمل على توحيد الوجدان والطبائع والعادات، وقد تقوم في هذا المجال بدور فعال في دفع عجلة المجتمع إلى الأمام باتجاه التطور والبناء. لذلك ينظر إليها وثيقة تاريخية واجتماعية، نشأت مع نشوء ذيوع الكتابة وقد استغلتها بعض الأمم قديما (كالسومريين مثلا) إلى جعلها وسيلة تعلم، فنقشوها على ألواحهم، كونها تراثا شفهيا لدى كل الشعوب القديمة مع اختلافها في الطابع والثقافة ومعايير عاداتهم الخاصة.

وهذه حقيقة أن العرب كانوا متصفين بطلاقة اللسان وفصاحة البيان وبلاغة وأناقة اللهجات واختيار الكلمات الجزلة الجذابة وارتجال وبديه وكثرة المعاني في قلة الألفاظ في انشاد الأشعار وإلقاء الخطب، وكانت لديهم رغبة صادقة وشوقا جديدا أن يكون لكل قبيلة شاعر يرفع ذكرهم أو خطيب ليشد أزرهم وربما يجتمع الصفتان في واحد. فكل ذلك دفعهم إلى المساهمة الكبيرة في الأمثال العربية بكل وسيلة من الوسائل المتوفرة في المفاخرات والمنافرات المنعقدة في الأسواق والمجالس الأندية والأماكن الأخرى بكل من ذلك لقيت الأمثال العربية الشيوع والذيوع في ذلك العصر، وكذلك الحال حتى جاء عهد التدوين والتأليف، واهتم علماء العرب والعجم بجمع الأمثال العربية بالتأليف والتصنيف ونشر المقالات في المجلات والجرائد، وبهذه الخدمات الجليلة لعبوا دورا فعالا في تطور الأمثال العربية عبر التاريخ. هناك استعرض تلك الوسائل التي لها دور هام

في تطور الأمثال العربية في العصر الجاهلي والعصور الأخرى وتحفظها من الاندثار والانحطاط تبعا لأحوال العمران بمر العصور والدهور[1].

7- أسباب انتشار الحكم والأمثال في العصر الجاهلي:

لاقت الحكم والأمثال شهرة كبيرة في العصر الجاهلي[2]، حيث أنها انتشرت على ألسنة الناس عامّة، وربما يعود ذلك لما امتاز به العرب من فصاحة وبلاغة وتجارب كثيرة في الحياة، ومن أبرز من قالوا أشهر الحكم والأمثال في العصر الجاهلي: ولبيد بن ربيعة، قس بن ساعدة، امرؤ القيس، ربيعة بن حذار، عامر بن الظرب العدواني، سهيل بن عمرو، هرم بن قطبة الفزاري وأكثم بن صيفي التميمي، كما يمكن تلخيص أهم الأسباب التي أدت لانتشار أشهر الحكم والأمثال في العصر الجاهلي على ألسنة هؤلاء الأشخاص بما يلي:

- البيئة الفطرية التي تسود فيها الأميّة وتشتد الحاجة فيها إلى التجارب المستخلصة بصورة أقوال لها معنى صادق.
- ارتباط المثل بحادثة أو حكاية ساعدت على انتشاره.
- صياغة الأمثال في غالب الأحيان في عبارة حسنة، يظهر فيها دقة التشبيه بين مورد المثل والمناسبة التي قيل فيها بما يرضي فيها الذوق العربي.
- شيوع الحكم على الألسنة وذلك لاعتمادها على تجارب واستخلاص العظمة من الحوادث والتمكن من الناحية البلاغية[3].

8- أصحاب الحكم والأمثال في العصر الجاهلي:

أكثم بن صيفي، وربيعة بن حذار، وهرم بن قطيعة، وعامر بن الظرب، ولبيد بن ربيعة، أما أكثم فكان من المعمرين، ويقال إنّه لحق الإسلام وحاول أن يعلن إسلامه فركب متوجها إلى

---

[1] ينظر : الجاحظ(أبو عثمان عمرو بن بحر) : الحيوان ، ط3، الحلبي ، القاهرة ، 1978م ، ص125-126.

[2] .ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي: الأدب الجاهلي ، دار الكتاب ، ص 145

[3] الجاحظ : الحيوان ، ص125.

الرسول صلى الله عليه وسلم، غير أنه مات في الطريق، وتدور على لسانه حكم وأمثال كثيرة، وقد ساق السيوطي في المزهر وهي تجري على هذا النسق.

9-تقسيم الأمثال العربية:

تنقسم الأمثال العربية إلى **أمثال حقيقية وأمثال فرضية.**

- أما **الأمثال الحقيقية،** لها أصل وقائلها معروف غالبا ونماذج منها:

<u>وافق شن طبقه</u>:

شنّ رجل من العرب خرج ليبحث عن امرأة مثله يتزوجها، فرافقه رجل في الطريق إلى القرية التي يقصدها، ولم يكن يعرفه من قبل. قال شن: أتحملني أم أحملك؟ فقال الرجل: يا جاهل أنا راكب وأنت راكب فكيف تحملني أو أحملك؟ فسكت شن حتى قابلتهما جنازة، فقال شن: أصاحب هذا النعش حي أم ميت؟ فقال الرجل: ما رأيت أجهل منك ترى الجنازة وتسأل عن صاحبها ميت أم حي، فسكت شن، ثم اراد مفارقته، فأبى الرجل وأخذه إلى منزله، وكانت له بنت تسمى طبقة. فسألت أباها عن الضيف فأخبرها بما حدث منه، وأبت ما هذا بجاهل إنه أراد بقوله أتحملني أم أحملك: أتحدثني أم أحدثك، وأما قوله في الجنازة فإنه أراد: هل ترك عقبا يحيى به ذكره؟ فخرج الرجل وجلس مع شن وفسر له كلامه، فقال شن: ما هذا بكلامك، فصارحه بأنه قول ابنته طبقة، فتزوجها شن. ويضرب مثلا للمتوافقين.

- وأما **الأمثال الفرضية،** فهي ما كانت من تخيل أديب ووضعها على لسان طائر أو حيوان أو جماد أو نبات أو ما شاكل ذلك والفرضية تساعد على النقد والسخرية وخاصة في عصور الاستبداد وهي وسيلة ناجحة للوعظ والتهذيب والفكاهة والتسلية مثل كليلة ودمنة وسلوان المطاع وفاكهة الخلفاء.

نماذج من الأمثال والحكم:

(قَبلَ الرِّمَاءِ تُملأ الكَنائِنُ) معناه: قبل أن تخرج للصيد فعليك أن تملأ حافظات السهام بالسهام الكنائن جمع كنانة، ويقال: للإنسان يود القيام بأمر لم يستعدّ له، كالطالب يودّ النجاح دون كدّ.[1]

(الصيف ضيّعت اللّبن)

قاله عمرو بن عمرو بن عدس وكان شيخا كبيرا تزوج بامرأة فضاقت به فطلقها فتزوجت فتى جميلا وأجدبت. فبعثت تطلب من عمرو حلوبة أو لبنا، فقال ذلك المثل، ويضرب هذا المثل لمن يطلب شيئا فوته على نفسه.

(على أهلها جنت براقش)

وبراقش كلبة لقوم من العرب اختبأت مع أصحابها من غزاة، فلما عادوا خائبين لم يعثروا عليهم نبحت براقش فاستدلوا بنباحها على مكان أهلها فاستباحوهم.

ربما كانت مقتطعة من أبيات كاملة مثل: "رضيت من الغنيمة بالإياب" وهو عجز بيت لمرئ القيس، "خلا لك الجو فبيضي واصفري" وهو أيضا عجز بيت لطرفة، "والبس لكل حالة لبوسها" وهو رجز قديم لا تعرف تتمته ولا صاحبه.

- **جزاؤه جزاء سنمّار**: يضرب لمن يحسن في عمله فيكافأ بالإساءة إليه.
- **رجع بخفي حنين**: يضرب هذا المثل في الرجوع بالخيبة والفشل.
- **وافق شن طبقة**: يضرب للمتوافقين في أمر معين.
- **الصيف ضيعت اللبن**: يضرب لمن يضيع أمرا على نفسه ثم يطلبه بعد فوات الأوان.
- **مصارع الرجال تحت بروق الطمع**: وفيها دعوة الى القناعة فان الطمع يقتل صاحبه.
- **ربّ ملومٍ لا ذنب له**: وفيها دعوة إلى التحقق من الأمر قبل توجيه اللوم للبريء.
- **أدب المرء خيرٌ من ذهبه**: معناها إن قيمة الإنسان بأدبه لا بماله.
- **من فسدت بطانته كان كالغاص بالماء**: وهذه تدعو إلى حسن اختيار الأعوان.

[1] الميداني : مجمع الأمثال ، ص 81

10-الموضوعات التي استعملت في الأمثال العربية:

ضرب العرب أمثالا في كل موضوع من الموضوعات المتنوعة وفي كل مجال من المجالات المختلفة، فلا يخلو موقف من حياتنا العامة والخاصة إلا ونجد مثلا ضرب عليه. ونعرض أمثال حسب الموضوعات بالإيجاز والاختصار.

الصبر: في التأني السلامة وفي العجلة الندامة.

طول البال يهدم الجبال.

صبرك عن محارم الله أيسر من صبرك على عذاب الله.

الشجاعة: استقبال الموت خير من استدباره.

عش عزيزا أو مت وأنت كريم.

ليست الشجاعة أن تقول ما تعتقد، بل الشجاعة أن تعتقد كل ما تقوله.

الحب والغيرة: الغيرة مسألة كرامة وليست مسألة حب.

الإهمال يقل الحب، والنسيان يدفنه.

في الحب كل شيء صدق.. وكل شيء كذب أيضا.

الحكمة: لا تتحد إنسانا ليس لديه شيء يخسره.

لا تطعن في ذوق زوجتك فقد اختارتك أولا.

والأمثال في الغالب أصلها قصة، أي أن الموقف الأصلي الذي ضرب فيه المثل يكون قصة أدت في النهاية إلى ضرب المثل، والفروق الزمنية التي تمتد لعدة قرون بين ظهور الأمثال ومحاولة شرحها أدت إلى احتفاظ الناس بالمثل لسهولته وخفته وتركوا القصص التي أدت إلى ضربها.[1]

[1] شوقي ضيف : العصر الجاهلي ، ط3، دار المعارف ، مصر ، 1978م، ص 407

وفي الغالب تغلب روح الأسطورة على الأمثال التي تدور في القصص الجاهلية مثل الأمثال الواردة في قصه الزباء ومنها "لا يطاع لقصير أمر، ولأمر ما جمع قصير أنفه –بيدي لا بيد عمرو".

وكذلك الأمثال الواردة في قصة ثأر امرئ القيس لأبيه ومنها: "ضيعني صغيرا وحملني ثأره كبيرا –لا صحو اليوم ولا سكر غدا– اليوم خمر وغدا أمر"[1].

ربما يستطيع المحققون بجهد أن يردوا بعض هذه الأمثال لأصحابها ومبدعيها فمن حكماء العرب عدد كبير اشتهر بابتكاره وإبداعه الأمثال بما فيها من عمق وإيجاز، وسلاسة، يقول الجاحظ: ومن الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء أكثم بن صيفي وربيعة بن حذار وهرم بن قطيعة وعامر بن الظرب ولبيد بن ربيعة. وأحكمهم أكثم بن صيفي التميمي وعامر بن الظرب العدواني[2]، فأما أكثم فكان من المعمرين ويقال إنه لحق الإسلام وحاول أن يعلن إسلامه فركب متوجها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم غير أنه مات في الطريق، وتدور على لسانه حكم وأمثال كثيرة، وقد ساق السيوطي في المزهر طائفة منها نقلا عن بن دريد، وهي تجري على هذا النسق[3].

"رب عجلة تهب ريثا. أدرعوا الليل فإن الليل أخفى للويل. المرء يعجز لا محالة. لا جماعة لمن اختلف. لكل امرئ سلطان على أخيه حتى يأخذ السلاح، فإنه كفى بالمشرفية واعظا. أسرع العقوبات عقوبة البغي". وعامر مثل أكثم يدخل في المعمرين[4].

ويقال أنه " لما أسن واعتراه النسيان أمر ابنته أن تقرع بالعصا إذا هو فه (فه: حاد وجار وانحرف) عن الحكم وجار عن القصد و ابنته كانت من حكيمات العرب حتى جاوزت في ذلك مقدار صحر بنت لقمان وهند بنت الخس وقال المتلمس في ذلك:

---

[1] شوقي ضيف : العصر الجاهلي ، ص408

[2] الجاحظ : البيان والتبيين ، ج1، ص365

[3] السيوطي : المزهر ، طبعة الحلبي ،ج1، ص321

[4] أبو هلال العسكري :جمهرة الأمثال ،ضبطه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، ج1، ص120

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلما

ولكن أمثال العرب لم تأت على مثل هذه الدرجة من الرقي والانضباط الأسلوبي، مثل التي جاء بها أكثم وعامر، بل إن كثيرا من الأمثال الجاهلية تخلو من التفنن التصويري، وهذا بطبيعة الأمثال فإنها ترد على الألسنة عفوا وتأتي على ألسنة العامة لا محترفي الأدب، فلم يكن من الغريب أن يخرج بعضها على القواعد الصرفية والنحوية دون أن يعيبها ذلك مثل **أعط القوس باريها** (بتسكين الياء في باريها والأصل فتحها)، وأيضا **(أجناؤها أبناؤها)** جمع جان وبان والقياس الصرفي **جناتها بناتها** لأن فاعلا لا يجمع على أفعال وهذا يثبت أن المثل لا يتغير بل يجري كما جاء على الألسنة وإن خالف النحو وقواعد التصريف.

وبعض الأمثال يغلب عليها **الغموض** ويدل تركيبتها على معنى محدد لا تؤدي إليه الكلمات المفردة ومن ذلك قول العرب **(بعين ما أرينك)** أي أسرع. ولم يكن هذا النوع من الأمثال هو الوحيد بل هناك أمثال صدرت عن شعراء مبدعين وخطباء مرموقين فجاءت راغبة الأسلوب متألقة بما فيها من جماليات الفن والتصوير مثل: أي الرجال المهذب، فهذا المثل جزء من بيت للنابغة يضرب مثلا لاستحالة الكمال البشري والبيت:

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب

والأمثال في الأدب الجاهلي يصعب تميزيها عن الإسلامي، لاختلاطهما ببعض عند الرواة والمؤلفين، ولكن ما يشير إليه من حادث أو قصة أو خبر مما يتصل بالجاهلية يساعد على معرفه الجاهلي وتمييزه من الإسلامي مثل: (ما يوم حليمة سر) وحليمة بنت ملك غسان ويضرب هذا المثل للأمر المشهور الذي لا يكاد يجهل (وقد يدل على جاهلية المثل أن يكون مخالفا لتعاليم الإسلام ومبادئه مثل: اليوم خمر وغدا أمر.

الأمثال في القرآن الكريم:

من أبرز الجوانب التي اعتنى بها القرآن الكريم جانب الأمثال التي تضرب لنا أروع التوجيهات وأبلغها في تشكيل الشخصية الإسلامية، وتحصينها من العوامل الهدامة والشبه الزائفة التي تخرج من الكفار والعلمانيين وأهل الفساد عموما.

وقد عمد الكفار والمنافقون إلى الطعن بالقرآن بحجة أن في القرآن أمثالا لا تليق أن تكون من عند الله تعالى، وهي التي ضرب الله فيها مثلا: بالذباب والعنكبوت والنحل والنمل، فهذه حشرات محقرة عند البلغاء وأهل الفصاحة، وكعادة القرآن يرد باطلهم في مهده وينسفه نسفا ولا يبقي له وزنا حيث رد عليهم الله سبحانه بقوله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا}[1] بيّن لهم القرآن أنه ضرب الأمثال وليس المقصود منها أدواتها وألاتها، وإنما مكنوناتها وغاياتها، فلو أنهم عقلوا لما نظروا للأداة، بل نظروا للثمرة والحكمة والفائدة، ولانتفعوا بها وكانت سبب هدايتهم، ولذا قال الله تعالى: {يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ}.

- في القرآن ثلاثة وأربعون مثلاً.
- تنقسم الأمثال الى قسمين:

الأول: المثل الصريح: هو الظاهر والمصرح فيها بلفظ المثل ، أو مايدل على التشبيه . مثل قوله تعالى: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ}[2] فلا يحتاج إلى دليل، كفي بلفظه الصريح دليلا.

[1] سورة البقرة ، الآية 26.

[2] سورة البقرة ، الآية 17.

الثاني: المثل الكامن: وهو الذي لا يذكر في النص لفظ المثل وإنما يكون حكمه حكم الأمثال، كقوله تعالى: {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [1].

فالمثل هنا يؤخذ من مكنون النص ودلالاته.

وأما أنواع الأمثال فهي ثلاثة أنواع:

النوع الأول: التمثيل الرمزي: وهو ما يأتي على لسان الطيور والحيوانات والنبات، كقصة النملة سليمان –عليه السلام–، وقصة آدم –عليه السلام– مع الشيطان، فهي رموز لحقائق علوية.

النوع الثاني: التمثيل القصصي: وهو ما جاء ليبين أحوال الأمم وقصصهم للعبرة كقوله تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ}[2]

النوع الثالث: التمثيل الطبيعي: وهو تشبيه غير الملموس بالملموس، والمتوهم بالمشاهد على أن يكون ذلك في الأمور التكوينية {إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[3].

الأمثال مرآة تنعكس عليها صورة الحياة الاجتماعية والسياسية والطبيعية، وهي تعبير يصدر عن عامة الناس دون تكلف، ولهذا يتجه الباحثون عن طبائع الشعوب إلى دراسة أمثالها. وربما كانت هذه وحدها التي وصلت إلينا كلها كما نطق بها أصحابها بلا تغيير أو تحريف ولا زيادة أو نقص؛ لما تمتاز به من تركيز بالغ وإيجاز شديد، وقبول للحفظ والشيوع على الألسنة في كل

---

[1] سورة التوبة ، الآية 109.

[2] سورة التحريم ، الآية 10

[3] سورة يونس ، الآية 24.

مناسبة، وبذلك تكون أصح ما بقي من النصوص النثرية الجاهلية وأقربها إلى أصولها الأولى، وإن كانت لا تقدم صورة كاملة عن النثر الجاهلي.

المحاضرة الرابعة: نصوص من خطب صدر الإسلام

توطئة :

نمت الخطابة في عصر صدر الإسلام ، واتسع نطاقها ، وتعددت مجالاتها ، وتطورت تطورا كبيرا بعد أن صارت الحاجة إليها أكثر إلحاحا، وارتبطت موضوعاتها بما يدعو إليها الإسلام من إيمان وترهيب بالآخرة وترغيب في العمل الصالح . فحملت الخطابة معان لم يسبق للناس عهد بها ؛ تهدف إلى تهذيبهم وإلى تنظيم المجتمع بما حملته من التشريعات التي تسير للمسلمين حياتهم ، وتنأى بهم عن مثالب الجاهلية .

إن الخطبة في الإسلام اكتسبت مزايا وخلالًا طيبة لم تكن فيها من قبل، حيث صارت تفتتح بحمد الله والصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم، والتشهد بالشهادتين، والاستشهاد بآي من القرآن الكريم، وكلام النبي صلى الله عليه وسلم، والالتزام في مضمونها بأدب الإسلام وشريعته، مما يعني إهمال بعض الأغراض التي كانت موجودة من قبل، والترفع بالخَطابة عنها، مثل التنافر والتفاخر بالأحساب والأنساب الجاهلية، ونحو ذلك مما كان سائدًا قبل الإسلام.

1- خصائص الخطابة في صدر الإسلام :

- بروز الطّابع الدّينيّ، حيث استخدم الخطباء المسلمون ألفاظ القرآن الكريم واستدلّوا بآياته، وقلّلوا من جودة الخطبة الخالية من القرآن الكريم وقيمتها، كما أطلقوا على الخطبة الخالية من القرآن اسم الشّوهاء، والدّليل على ذلك قول عمر بن الخطاب عن خطبة زياد: (ظننتُ أنّه لم أقصر فيها عن غاية ولم أدع لطاعن علّة، فمررتُ بعض المجالس فسمعت شيخاً يقول: هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن).

- التقليل من استخدام السّجع الذي كان يبرز بشكل كبير في خطب الجاهليّة، وخاصّةً سجع الكهّان الذي كان يدّعي صاحبه التنبّؤ بالمستقبل ومعرفة الغيب، باستخدام ألفاظ غامضة وغريبة وذات جرس إيحائيّ، والجدير ذكره أنّ الرسول عليه السّلام نهى عن استخدام هذا النوع من السّجع، ولكنّ هذا لا يعني أنّ خطب العصر الإسلاميّ خلت من السجع، فقد استُخدم السجع بشكلٍ واضح في الخطب المُلقاة أمام الأمراء والرّؤساء، وأُطلق على هذا النوع من السجعِ السّجعُ الممقوت.
- وحدة الموضوع والفكر، وكانت الخطب تفتقر إلى هذه الخاصّيّة قبل الدعوة الإسلامية. وضوح الأفكار وجزالتها وسلاستها، كما أنّ الألفاظ كانت فصيحة، واتّسمت الفقرات بقصرها وتناسق فواصلها. اندثار المنافرات والمفاخرات القديمة؛ وذلك لأنّ الإسلام حاول إمالة هذه الأفكار بالدّعوة إلى الوحدة.
- الإيجاز مع البلاغة؛ فقد حثّ الرسول عليه الصّلاة والسّلام على تقصير خطبة الجمعة، وحثّ أبو بكر الصّديق أحد قادته على تقصير خطبه لجنوده حتى لا ينسوا كلامه ومواعظه لهم، ولكنّ هذا لا يعني خلوّ العصر الإسلاميّ من الخطب الطويلة وخاصّةً في الأمور السياسية، واعتمد طول الخطبة أو قصرها على زمان الخطبة وموضوعها.
- إيراد بعض الأمثال والحكم وأبيات الشّعر، وذلك جرياً على فطرتهم وطَبعهم في تَنسيق الكلام وترويقه. البدء بالبسملة وحمد الله والصّلاة على رسول الله، ثمّ كلمة أمّا بعد، ثمّ انتقال الخطيب إلى الموضوع الرئيسي من الخطبة، وإنهاء خطبته بالسلام، ونادراً ما نجد خطبةً تخلو من هذه البداية، حيث إنّ الخطبة التي تخلو من هذه البداية تُسمّى البتراء[1].

[1] واضح الصمد : أدب صدر الإسلام ،ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت ، لبنان ،1994م،ص149-153.

2- نماذج من الخطابة في صدر الإسلام :

1-خطبة الرسول (صلَّى الله عليه وسلم) :

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته وأستفتح بالذي هو خير. أما بعد:

أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم فإني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا.

أيها الناس إن دماءكم وأعراضكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا – ألا هل بلغت اللهم فاشهد، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.

وإن ربا الجاهلية موضوع ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وقضى الله أنه لا ربا. وإن أول ربا أبدأ به عمي العباس بن عبد المطلب، وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية والعمد قود وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية.

أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحرقون من أعمالكم فاحذروه على دينكم.

أيها الناس إنما النسئ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليوطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله. وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله

السماوات والأرض، منها أربعة حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان. ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق. لكم أن لا يواطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً – ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد.

أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ولا يحل لامرئ مال لأخيه إلا عن طيب نفس منه – ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

فلا ترجعن بعدى كافراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده: كتاب الله وسنة نبيه، ألا هل بلغت ... اللهم فاشهد.

أيها النّاس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عند الله اتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى – ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد قالوا نعم– فقال: اللهم اشهد[1].

– التعريف بالخطيب:

الرسول– صلـهم – غني عن التعريف، حياته حافلة بالأخلاق العظيمة والصفات الجليلة الشمائل الكريمة، فمواقفه جليلة معصومة من الخطأ والزلل، وكلامه بليغ خالي من الحشو والسفه، فهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي، ما يهمنا من شخصيته – **صلى الله عليه وسلم** – الجانب البلاغي والتعليمي، إذ أننا سنتناول دراسة خطب العرب وقد خصصنا خطبة الوداع أنموذجا لهذه الدراسة، لتكون أمامنا المثل الأعلى في الإستهداء بمعانيه وتمثل أساليبه، لما فيها

[1] ابن هشام : السيرة النبوية ، تح : مصطفى السقا وآخرين ، دار الوفاق ، بيروت ، ج1،ص 501.

من تكامل لفظي ومعنوي نلمسه واضحا في بلاغته- **صلى الله عليه وسلم** - فهو أفصح من نطق بالضاد

ترقى البلاغة النبوية إلى أعلى مدارج الكمال البشري في حسن التأتي للمعاني بأدق ماي مكن أن تؤديه المفردات والجمل من دلالات ومعان تقع في النفوس فتؤثر فيها تأثيرا بليغًا لا يذهب أثره بتقادم العهد وتواتر الأزمان.

وقد وصف الجاحظ بلاغة الرسول- **صلى الله عليه وسلم** - بقوله: " هو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف... وهو لكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام [1]".

ولا غرو أن الرسول - **صلى الله عليه وسلم** - قد نشأ في أفصح القبائل، إذ كان مولده في بني هاشم، وأخواله من بني زهرة ورضاعه في سعد بن بكر، ومنشؤه في قريش، لذا قال- عليه الصلاة السلام: " **أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر** ".

وحين تهيئه العناية الربانية لحمل أعظم ما عرفته البشرية في تاريخها الطويل من رسالات، وهي الدعوى الإسلامية، وفي قوم لهم في ميدان البلاغة والفصاحة القدر العظيم والمكانة الرفيعة، فلابد أن يكون النبي المرسل إليهم أفضلهم بيانًا وأقدرهم على التصرف في فنون القول، وابعدهم عن عيوب الكلام وإضطرابه.

<u>تقسم الخطبة على سبع فقرات</u>:

- استهلال وافتتاحية،
- حرمة الأموال والأنفس،
- التحذير من الشيطان ومداخله،

[1] الجاحظ : البيان والتبيين ، ج2،ص17.

- حرمة الأشهر الحرم والدعوة إلى الالتزام بمواقيتها،
- التوصية بالنساء (ما لهن وما عليهن)،
- الترابط بين المؤمنين وتعزيز رابطة الأخوة،
- الناس سواسية لا فضل لأحد إلا بالتقوى.

2- خطبة أبي بكر الصديق :

لما بويع أبو بكر بالخلافة بعد بيعة السقيفة تكلم أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: " أما بعد أيُّها النَّاس فإنِّي قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم"[1].

حوت هذه الخطبة ملامح الحاكم الجيد ، وأبرزت منهجه في الحكم وسياسته للرعية ، كما كانت حاسمة في تبديد مخاوف الطبقة الضعيفة من ضياع حقوقهم؛ فلم ييأسوا من عدل الخليفة. وكانت قاطعة لأطماع من تحدثه نفسه من طبقة الأقوياء بأخذ ما ليس له أو ظلم الضعيف ، فلم يطمع بذلك شريف أو قوي في جوره . كما بينت الخطبة شخصية الدولة القوية وأنها لن تفرط في إعداد العدَّة للجهاد ضد أعداء الله ، وهذه الدولة ينبغي أن تراعي الفضيلة ، ويتخلق أهلها بها ، وأن توصد الأبواب أمام الرذيلة أو الفاحشة .

كما أنّ الخطبة تطمئن النَّاس على أنَّ الحاكم الجديد لن يحرمهم حقهم في الحرية السياسية ، والتي من مظاهرها نصح الحاكم وتقويمه إذا حاد عن الدستور المتمثل في الشريعة الإسلامية .

---

[1] ابن هشام : السيرة النبوية ، ج4،ص 240، ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ج2، ص234.

كل هذا حوته هذه الخطبة الموجزة البليغة .

مميزات الخطبة :

- سلاسة الأسلوب.
- وضوح العبارة .
- قرب المعنى وسمو المضمون .
- استمدادها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

تقسم الخطبة إلى:

- التواضع من صفات المتقين .
- يجب على المسلمين أن يعاونوا ولي الأمر ما أقام فيهم شريعة الله والتزم نهج الرسول ρ وأن يقوموه ويصلحوا من أمره ويقدِّموا له الرأي الصواب إن أخطأ وانحرف .
- من حق المسلم على ولي الأمر أن ينتصر له من الظالم وأن يوصل إليه حقه .
- وجوب الجهاد في سبيل الله .
- وجوب ترك الفواحش ماظهر منها وما بطن .
- وجوب طاعة ولي الأمر مادام مطيعا لله ورسوله .

3- عمر بن الخطاب :

هو عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العزى، عندما أسلم اعتزّ به المسلمون، وأصبحوا يُصلّون في الحرم، وهو ثاني الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، وقد تم في عهد عمر فتح فارس، والشام، ومصر، أمّا في الخطابة فقد سار عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على نهج أبي بكر الصديق[1]. كان الغرض الرئيس غالبًا من خطب عمر بن الخطّاب هو تحريض

[1] ينظر: شمس الدين الذهبي، كتاب سير أعلام النبلاء، ص 397-448.

المسلمين على الجهاد والفتوحات، وكان –رضي الله عنه–يختار أقوى المعاني فتنصاع القلوب لبيانه، حتى قيل فيه إنّه كان يستطيع أن يُخرج الضاد من أي شدقيه شاء، ومن خطبه الشهيرة ما يأتي: "إن الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر، واتّخذ عليكم الحجج فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا من غير مسألة منكم له، ولا رغبة منكم فيه إليه، فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئًا لنفسه وعبادته وسخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وحملكم في البرّ والبحر، ورزقكم من الطيبات لعلّكم تشكرون، ثم جعل لكم سمعا وبصرًا ومن نِعَم الله عليكم نِعَمٌ عمَّ بها بني آدم، ومنها نِعَمٌ اختصّ بها أهل دينكم".

4– زياد بن أبيه:

نشأ في بيت الحارث بن كِلدة الثقفي، وقيل إنّه ابن عبد رومي، فكان أديبًا نابغًا مُنذ صغره، وجاء في الروايات أن أبا سُفيان نسب بنوته إليه، واستماله معاوية–رضي الله عنه– فصار يُدعى زياد بن أبي سفيان، عندما كان أبو موسى الأشعريّ واليًا للبصرة في خلافة عمر عيّنه عنده، وكان سياسيًا مُحنَّكًا، ومُتكلمًا بليغًا جدًّا، وأُعجب الجميع بخطبه.[1] أشهر خطبة له هي الخطبة البتراء، سُميت بالبتراء أيّ المقطوعة؛ لأنّها لم تبدأ بالبسملة والحمد، وهي: "أمّا بعد: فإنّ الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء، والفجر الموقِد لأهله النار، الباقي عليهم سعيرها: ما يأتي سُفهاؤكم، ويشتمل عليه حُلماؤكم من الأمور العظام؛ ينبُت فيها الصغير، ولا يتحاشى منها الكبير؛ كأن لم تسمعوا بآيٍ الله، ولم تقرؤوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما أعدّ الله من الثواب الكبير لأهل طاعته..."

[1].ينظر : خير الدين الزركلي، الأعلام ، ص 53

المحاضرة الخامسة: السرد حكايات ألف ليلــة وليلــة

توطئة :

يتضمن كتاب ألف ليلة وليلة مجموعة من القصص التي وردت في غرب وجنوب آسيا بالإضافة إلى الحكايات الشعبية التي جُمعت وترجمت إلى العربية خلال العصر الذهبي للإسلام.

تعود الحكايات إلى القرون القديمة والوسطى لكل من الحضارات العربية والفارسية والهندية والمصرية وبلاد الرافدين. معظم الحكايات كانت في الأساس قصصاً شعبية من عهد الخلافة ، وخاصة قصة الإطار، فعلى الأرجح تم استخلاصها من العمل الفهلوي الفارسي «ألف خرافة» بالفارسية: هزار أفسان (والتي بدورها اعتمدت جزئياً على الأدب الهندي. بالمقابل هناك من يقول أن أصل هذه الروايات بابلي.

تبتدئ القصة الاطارية عن الحاكم شهريار وزوجته شهرزاد؛ حيث أنَّ القصص تنطلق أساساً من هذه القصة، وبعض القصص مؤطرة داخل حكايات أخرى، في حين تبدأ أخرى وتنتهي من تلقاء نفسها. بعض النُّسخ المطبوعة لا تحتوي سوى على بضع مئات من الليالي، والبعض الآخر يتضمن ألف ليلةً وليلة أو أكثر. الجزء الأكبر من النص هو بأسلوب النثر، على الرغم من استخدام أسلوب الشعر أحيانا للتعبير عن العاطفة المتزايدة، وأحياناً تستخدم الأغاني والألغاز.

تحوي حكايات ألف ليلة وليلة على بعض القصص المشهورة ، مثل" **علاء الدين والمصباح السحري**"، و"**علي بابا والأربعون لصاً**"، و"**رحلات السندباد البحري السبع**"، كما أن هناك بعض الحكايات الشعبية في منطقة الشرق الأوسط ليست جزءاً من ألف ليلة وليلة الموجودة في

الإصدارات العربية، ولكنها أضيفت من قبل المستشرق الفرنسي **أنطوان غالان(Antoine Galland)** ، والذي عمل على ترجمة الكتاب إلى الفرنسية سنة 1704م.

1-ترجمة الكتاب :

ترجم كتاب ألف ليلة وليلة إلى عدة لغات، وقد طبع بالعربية لأول مرة في ألمانيا سنة 1825م ثم طبع مرات عدة، أهمها **طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر**. وقدِ عمل محسن مهدي على توثيق النسخ العربية في عمل صدر له سنة 1984م. هناك مجموعة من الرسومات صاحبت الترجمات الغربية لألف ليلة وليلة الصادر باللغة الإنجليزية، أما مُؤَلِّفُ الكتاب مجهول حتى الآن من هو واضع ألف ليلة وليلة، وقد ذهب الشرواني في مقدمة الطبعة الإيرانية إلى أن واضع الكتاب شامي الأصل، جعله في لغة مبسطة متوخياً تعليم اللغة العربية إلى الراغبين فيها أكثر ما توخى الاقتراب من إفهام الناس. وقد لحقه الرأي دي ساسي الذي لا يستبعد أن يكون قد زاد على الأصل السوري النقلة والحكاؤون في كل زمان ومكان أخبارا وحكايات من عندهم.

2-التعريف بكتاب ألف ليلة وليلة:

يعدُّ كتاب **ألف ليلة وليلة** والمعروف أيضاً باسم **الليالي العربية** سلسة من القصص مجهولة الزمان والمؤلف المكتوبة باللغة العربية، وتمكنت من احتلال كيان مهم في كلاسيكيات الأدب العالمي، ويقوم الكتاب على قصة الملك شهريار الذي قام بقتل زوجته بعد اكتشاف خيانتها له، ثم قام بالزواج من زوجة جديدة كل ليلة وقتل كل واحدة منهن في نهاية كل ليلة ، حتى جاء الدور على إحدى بنتي الوزير المدعوة شهرزاد والتي وجدت طريقة لمنع شهريار من قتلها، وذلك من خلال سرد قصة جديدة له كل ليلة دون اطلاعه على نهايتها حتى يبقي على حياتها لصباح اليوم

التالي من أجل التعرف على نهاية القصة، واستمرت في سرد القصص لمدة ألف ليلة وليلة حتى عدل عن قراره بقتلها[1].

3-أصل الكتاب:

-طبعة فارسية لكتاب ألف ليلة وليلة بين سنتي 1849م-1856م.

جاء في حديث المسعودي الذي يردّ الكتاب إلى الهند، في قوله: « وإن سبيل الأخبار سبيل الكتب المنقولة إلينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية، سبيل تأليفها ما ذكرنا مثل كتاب "هزار افسانه" وتفسير ذلك من الفارسية إلى العربية ألف خرافة، والخرافة بالفارسية يقال لها افسانه، والناس يسمون هذا الكتاب "ألف ليلة وليلة" وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتها وهما شيرازاد ودنيازاد»[2].

كان «ابن النديم» صاحب الفهرست أول من عرف بالكتاب قال: «كتاب هزار افسان ومعناه ألف خرافة وكان السبب في ذلك أن ملكاً من ملوكهم كان إذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها من الغد فتزوج بجارية من أولاد الملوك ممن لها عقل ودراية يقال لها شهرزاد فلما حصلت معه ابتدأت تخرفه وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على استبقائها ويسألها في الليلة الثانية عن تمام الحديث إلى أن أتى عليها ألف ليلة وهو مع ذلك يطأها إلى أن رزقت منه ولداً أظهرته وأوقفته على حيلتها عليه فاستعقلها ومال إليها واستبقاها وكان للملك قهرمانة يقال لها دي نار زاد فكانت موافقة لها على ذلك. وقد قيل أن هذا الكتاب ألِّف لحماني ابنة بهمن. وجاءوا فيه بخبر غير هذا»[3]، وقال: «ويحتوي على ألف ليلة وعلى دون المائتي سمر لأن السمر ربما حدث

---

[1] ينظر حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ص602.

[2] المسعودي :مروج الذهب ومعادن الجوهر ، السفر الثالث ، قدم لها وعلق عليها :قاسم وهب ،منشورات وزارة الثقافة ، سوريا ، 1949،ص254.

[3] ابن النديم : الفهرست ،طبعة القاهرة ، 1348ه ، ص 254

به في عدة ليال وقد رأيته بتمامه دفعات وهو بالحقيقة كتاب غث بارد الحديث»[1]، كما قال: «ابتدأ أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري صاحب كتاب الوزراء بتأليف كتاب اختار فيه ألف سمر من أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم كل جزء قائم بذاته لا يعلق بغيره وأحضر المسامرين فأخذ عنهم أحسن ما يعرفون ويحسنون واختار من الكتب المصنفة في الأسمار والخرافات ما يحلو بنفسه وكان فاضلاً فاجتمع له من ذلك أربعمائة ليلة وثمانون ليلة كل ليلة سمر تام يحتوي على خمسين ورقة وأقل وأكثر ثم عاجلته المنية قبل استيفاء ما في نفسه من تتميمه ألف سمر ورأيت من ذلك عدة أجزاء بخط أبي الطيب أخي الشافعي».

4- مفهوم السرد :

أ- لغة :

ورد في لسان العرب. السرد: «تقدمة شيء إلى شيء تأتي به متسقا بعضه في أُر بعض متتابعا. سرد الحديث ونحوه يسرده سردا إذا تابعه. وفلا يَسرُدُ الحديث سردًا إذا كان جيد السياق له. وفي صفة كلامه، صلى الله عليه وسلم: لم يكن يسرد الحديث سردا أي يتابعه ويستعجل فيه. وسَرَدَ القرآن: تابع قراءته. والسرد: المتتابع. وسرد فلان الصوم إذا والاه وتابعه، ومنه الحديث: كان يسرد الصوم سردا، وفي الحديث: أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إني أسرد الصيام في السفر، فقال: إن شئت فصم وإن شئت فأفطره»[2].

ب- اصطلاحا:

هو أخبار من صميم الواقع أو نسخ الخيال أو كليهما معاً في إطار زماني ومكاني، بحبكة فنية متقنة.

---

[1] المصدر نفسه ،الصفحة نفسها .

[2] ابن منظور : لسان العرب ، مادة" سرد" ، ج3، ص211.

5-أسلوب السرد في كتاب ألف ليلة وليلة:

يعمل أسلوب سرد حكايات «ألف ليلة وليلة» على دفع المتلقي إلى زمن قديم، لذلك كان استخدام صيغة «يُحكى» والتي تعقبها عبارة «والله أعلم بغيبه وأحكم» تعتبر صيغة للتخلص من تبعات نقل النص وسنده ومتنه، بخلاف كتب الحديث والأدب والتاريخ التي اعتنت بهذه الأمور. إذ أن العمل يعتبر نصا أدبيا متخيلا ومصنوعا حيث يحمل بين طياته الكثير من الموقف والرؤى والاتجاهات، وباعتباره متخيلاً فإن هذه المواقف هي انعكاس لوجهة نظر منتج النص، لذلك كان الراوي المصطنع وسيلةِ للتخلص من هذه التبعية حيث يلقى له مهمة السرد والحكي، فلذلك وجدت صيغة «يحكى أن» التي تحيل إلى المجهول الذي يتحمل كافة المسؤولية عن كل ما سيقال ضمن النص المروي. تبدأ حكاية «ألف ليلة وليلة» على المستوى السردي براو مجهول، جرى تحميله مسؤولية ما سيقال، لذلك كانت «يحكى أن» الأنسب للحيلولة دون أن تلقى المسؤولية على شخص ما. فالفعل يحكي عبارة عن فعل مضارع مبني للمجهول وفاعله غير معلوم، وهذا تمهيد ليتحول السرد إلى راو آخر ولكن ضمن الإطار الداخلي للنص أو القصة التي يعتبر ساردها الكلي غير معلوم. فشهرزاد تتخذ على المستوى السردي دورين، دور السارد الداخلي القائم بمهمة السرد، ودور الشخصية المشاركة في الحدث. إذ أن الحكاية الأولى من حكاياتٍ شهرزاد، تتم عبر راو خارجي وهو الراوي المجهول، حيث تبدأ الحكاية بعبارة: "قالت شهرزاد: بلغني أيها الملك السعيد أنه كان تاجر من التجار ..."، فأسلوب السرد هذا يشير إلى أن هناك شخص آخر يتحدث، ولكنه سرعان ما يختفي عندما يظهر صوت شهرزاد تقول: "بلغني أيها الملك السعيد" لينتقل السرد على المستوى العملي إلى شهرزاد. إن السرد الذي تمارسه شهرزاد بعناية وحذر شديدين يعتبر سرد خطير، لأنه يحمل بين طياته موتها الحتمي، ما لم تتمكن من جذب انتباه الملك شهريار إلى حديثها، لذلك فهي تلجأ إلى عبارة "بلغني" وهذه العبارة تخلص شهرزاد من تبعات ما تقول إذ لم يعجب الملك حديثها.

المحاضرة السادسة: الحكاية على لسان الحيوان . كليلة ودمنة

توطئة :

الحكاية فن في غاية القدم، مرتكز على السرد المباشر المؤدي إلى الإمتاع والتأثير في نفوس السامعين، يتخذ موضوعا له الأشياء الخيالية والمغامرات الغريبة، وقد يُعنى بالأمور الممكنة الوقوع أو الأحداث الحقيقية التي يعدّل فيها الراوي، ويُقحم فيها أمالي خياله إحساسه، ومحصّلات مواقفه من الحياة.

وتختلف الحكاية عن الرواية والأقصوصة معا، فالسرد في الحكاية يحاول التحرر من الواقع بالاعتماد على العجائب والخوارق، كما في حكايات (ألف ليلة وليلة) أو باعتماد الترسيم بإيجاز خصائص الشخصيات في خطوط عامة ومرموزة، كما في حكايات (كليلة ودمنة).

كما تختلف الحكاية من الأقصوصة بأنها تُكثر من الأحداث والمغامرات، وتتسع في المديين الزمني والمكاني، ومع ذلك هي أوجز من القصة، لاعتمادها التبسيط وقصدها المعنى الرمزي، متحاشية الخوض في التفاصيل لتبقى بعيدة عن واقع الحياة العادية.

ومن أبرز خصائص الحكاية أن شخصية البطل فيها تكون شاحبة الملامح، بحيث تجذب انتباهنا بما تمثله من معاني البطولة أو المهارة او الحيلة أو القوة، وليس بقسماتها الإنسانية.

أما الإثارة الفنية فيا لحكاية فهي متأتية عن الحبكة ودلائلها الفلسفية والخلقية التي تبعث في قرّائها أو سامعيها دويا يصل إلى أعماق نفوسهم.

هناك أنواع من الحكاية، منها:

1-الحكاية الغريبة المثيرة للخيال.

2-الحكاية الواقعية.

3-الحكاية الأسطورية المعنيّة بالجنيّات، وهي موجهة عادة إلى الصغار، وإلى الطبقة الشعبية الساذجة.

حين دخلت الثقافات الفارسية والهندية واليونانية إلى الفكر العربي الإسلامي، وسعت طاقته بما اكتسبه من العماني العقلية والفلسفية من خلال الترجمة إلى اللغة العربية، وقد قام بهذا العمل نخبة من رجال الفكر الذين يحسنون اللغتين المنقول عنها والمنقول منها، فتولد أسلوب جديد احتفظ للعربية بصورتها النحوية التركيبية، وقام بتعريب ألفاظ تدل على المصطلحات الفلسفية والعلمية الجديدة بأسلوب مرن يستوعب ثقافات معرفية مختلفة، وبهذا أصبح النثر العربي نثر ثقافة متشعبة، تمدها روافد كبيرة من إيران والهند واليونان، أخذت تدخل في طريقة تفكير العرب ونظرتهم إلى الحياة.

ومن يقرأ كتب ابن المقفع وهو من أوائل المترجمين يرى أنه أضفى على ترجماته الطابع العربي التام.

1- عبد الله بن المقفع (106-142هـ) (724م -759م):

وهو مفكّر فارسي وُلِد مجوسيًا لكنه اعتنق الإسلام، وعاصر كُلاً من الخلافة الأموية والعباسية.

درس الفارسية وتعلّم العربية في كتب الأدباء واشترك في سوق المِرْبَد كان اسمه (روزبه بن داذويه)، وكنيته" أبو عمرو"، فلما أسلم تسمى بعبد الله وتكنى بأبي محمد ولقب والده بالمقفع لأنه

أتهِم بأنه مدّ يده وسرق من أموال المسلمين لِذا نكّل به الحجاج بن يوسف الثقفي وعاقبه فضربه على أصابع يديه حتى تشنجتا وتقفعتا (أي تورمتا)..

صفاته: عُرِف عبد الله بن المقفع بذكائه وكرمه وأخلاقه الحميدة، وكان له سعة وعمق في العلم والمعرفة ما جعله من أحد :بار مثقفي عصره، حيث تتكون ثقافته من مزيج من ثلاثة جوانب: العربية، الفارسية واليونانية، وكان ملمًا بلسان العرب فصاحةً وبيانًا، وكان كاتبًا ذا أسلوب متميز، واشتهر بالكرم والإيثار، والحفاظ على الصديق والوفاء للصحب، والتشدد في الخلق وصيانة النفس. وذات مرة سُئل ابن المقفع عن الأدب والأخلاق فقيل له:" من أدّبك؟ فقال:" إذا رأيت من غيري حسنا آتيه، وإن رأيت قبيحا أبَيْته". وكان ذكيا ذكاء شديدًا، ولكن ذكاءه أضله، لذلك قيل أن عمله كان أكبر من عقله. وقد اتُّهم بالزندقة وهي الفئة التي تتظاهر بالإسلام مراءاة وخداعًا، وربما كان هذا الاتهام واحدا من أسباب مقتله، وهو في مقتبل العمر، فلم يتجاوز السادسة والثلاثين، إذ قتل على يد سفيان بن معاوية بإيعاز من الخليفة المنصور، عند موته. إلا أنه خلّف لنا من الآثار الكثيرة ما يشهد على سعة عقله وعبقريته، وكان صاحب الرائدة في النثر[1].

2- كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع:

وهو كتاب يتألف من مجموعة قصص، تتضمن عدة مواضيع في أبواب، أبرزها العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وعدد من الحِكم والمواعظ. وقد أجراها المؤلف على لسان الحيوانات والطيور كشخصيات رئيسية فيه، ومنهم "كَلِيْلَة" و"دِمْنَة"، وهما اسمان أطلقا على اثنين من بنات آوى ظهرا في عدد من قصص الكتاب، وهذه الحيوانات عامة ترمز إلى شخصيات بشرية.

[1] ينظر: محمد كرد علي: أمراء البيان، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج1 ،2012م ،ص99 -121.

وتذكر مقدمة الكتاب أن الحكيم الهندي" بيدبا" قد ألّفه لملك الهند" دبشليم"، وحينما علم كسرى فارس "أنو شيروان" بأمر الكتاب وما يحتويه من المواعظ، أمر الطبيب "برزويه" بالذهاب إلى بلاد الهند ونسخ ما جاء في ذلك الكتاب ونقله إلى الفهلوية الفارسية[1].

وقد تمت ترجمته ونقله إلى اللغة العربية في العصر العباسي وتحديدًا في القرن الثاني الهجري على يد عبد الله بن المقفع متصرفًا فيه بأسلوبه عن الكتاب الأصلي الفصول الخمسة باللغة السنسكريتية: وأجمع العديد من الباحثين على أن الكتاب يعود لأصول هندية.

3- دوافع ابن المقفع وأهدافه في تأليف كتاب "كليلة ودمنة":

أشار ابن المقفع إلى بعض أهدافه من ترجمة الكتاب بقوله في مقدمة الكتاب:

"ينبغي للناظر في هذا الكتاب أن يعلم أنه ينقسم إلى أربعة أغراض:

أحدها ما قصد فيه إلى وضعه على ألسنة البهائم غير الناطقة، ليسارع إلى قراءته أهل الهزل من الشباب.

والثاني إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الأصباغ والألوان، ليكون أنسا لقلوب الملوك.

والثالث أن يكون على هذه الصورة، فيكثر بذلك انتساخه ولا يبطل على مرور الأيام لينتفع بذلك المصور والناسخ أبدًا.

[1] عبد الله بن المقفع : كليلة ودمنة ، تح : عبد الوهاب عزام و طه حسين ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2012م، المقدمة

والغرض الرابع هو الأقصى وذلك مخصوص بالفيلسوف خاصة" وربما كان هذا الغرض الذي سكت عنه هو الأهم، وهو غرضه الأساسي من عمله، وهو بيان واجب الحكام، وحقوق المحكومين، وتنوير الأذهان ليلتزم الحكام بواجبهم، ويطالب المحكومين بحقوقهم"[1].

4- أبواب كتاب كليلة ودمنة :

الأبواب التي تحتويها النسخ المختلفة من هذا الكتاب تحتوي على الأبواب الآتية:

- **المقدمات:** وهي: "مقدمة علي بن الشاه الفارسي". عرض الكتاب "لابن المقفع". "بعثة برزويه إلى بلاد الهند"، "باب برزويه الطبيب".
- **الأبواب الخمسة الأولى** : بعد استثناء "باب الفحص عن أمر دمنة" وهي الأبواب التي يحتويها الأصل الهندي "بنج تنترا"، "الأسد والثور"، "الحمامة المطوقة"، "البوم والغربان"، "القرد والغيلم"، "الناسك وابن عرس"، ويتبع هذا القسم باب "الفحص عن أمر دمنة" وهو بعد باب "الأسد والثور" ومكمل له، وباب "السائح والصواغ" .
- **القسم الثالث:** ويحتوي على الأبواب الثلاثة: "الجرذ والسنور"، "الملك والطائر"، "الأسد وابن آوى" .
- **القسم الرابع:** الأبواب الأخرى، وهي قسمان :
- الأبواب التي تتفق عليها النسخ وهي: "إبالد وإيراخت وشادرم ملك الهنود"، "اللبؤة والأسوار"، "الناسك والضيف"، "ابن الملك وأصحابه."
- الأبواب التي توجد في بعض النسخ دون بعض، وهي: "ملك الجرذان"، "مالك الحزين والبطة"، "الحمامة والثعلب ومالك الحزين».[2]

---

[1] المصدر السابق ، المقدمة

[2] المصدر نفسه ، ص35.

5- مضمون كتاب "كليلة ودمنة":

1-الكتاب موضوع على ألسنة الحيوانات، ولكنه موجه إلى الإنسان عامة، ففيه تعاليم إلى الحكام خاصة، وإلى طبقات شتى من طبقات المجتمع، واهتم بنوع خاص ببيان واجبات الملوك، وأكثر من ضرب الأمثلة وتوجيه النصح، وتفضيل الصفات والأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها الملوك والحكام كالعلم والحلم، وحسن الحيلة والأمانة.

2- في الكتاب نزعة تعليمية أخلاقية: إذ حث على الزهد والتقوى والإخلاص والأمانة وينفر من البخل.

3- يولي الكتاب عناية خاصة للصداقة: فهي ضرورية للإنسان، وليس في الدنيا سرور يعدل صحبة الإخوان، مسحة من المنطق اليوناني، لذلك نجد فيه ميلا نحو الجبرية، ولكنها جبرية على شيء من التوسط والاعتدال.

4-القدر: وهو أمر خفي لا يدركه العقل، ومن ثم فهو لا يدفع ولا يرد، والإنسان غير مسؤول عما يفعله، ومع ذلك فلا ينبغي أن يكون ذلك سببا للتواكل واللامبالاة، بل يجب الجمع بين التصديق بحتمية القدر، والأخذ بأسباب القوة والحزم.

5-تشيع روح التشاؤم في كتاب " كليلة ودمنة" فسوء السيرة وسوء التصرف هو الغالب دائما على الملوك، وسوء الظن وعدم الثقة بالمرأة بالغ منتهاه، وأفعال الناس تظهر مساوئهم وهذا شيء طبيعي في عمل هدفه الأكبر نقد الأوضاع الفاسدة، والسعي إلى تغييرها، كما صور عصره أروع تصوير وأصدقه.

6-نقده موجه للمجتمع بكافة طبقاته، مع مزيد اهتمام بنقد الملوك والمقربين منهم، ويمتاز نقده بانه لا يقتصر على إظهار العيوب وتشخيص الأمراض الاجتماعية ولكنه يصف الدواء بجانب الأدواء.

7-أجاد ابن المقفع إبراز طبائع الناس وخلالهم وسحاياهم وأخلاقهم بكل ما فيها من تقلب واضطراب سواء أكان ذلك من خلال تصوير الحيوانات أم من خلال أعمال البشر وسلوكهم.

8-يحتوي الكتاب على أربع مقدمات، وخمسة عشر بابا تناولت موضوعات شتى، وتقوم مناقشته لموضوعاته على أسئلة يلقيها دَبْشَلِيم الملك على بَيْدَبَا الفيلسوف الذي يجيب بدوره عليها.

9-وقد أظهر ابن المقفع مقدرة وبراعة على البحث والتحليل والتعليل واستخراج الحكم والعبر من خلال سرد القصص وضرب الأمثال وإجراء الحوار، إلا أنه في قصصه كان مكثرا مبالغا حد الإفراط أحيانا، إذ يبدأ القصة ويسير شوطا، ثم يولد منها قصة أخرى، تسلمه إلى ثالثة فرابعة، ثم خامسة أحيانا.

10- الكتاب متعدد المستويات، فالحكام يجدون فيه المثل الأعلى لصاحب السلطة وما ينبغي أن يكون على الحاكم من صفات تساعده على إقامة العدل واكتساب الحمد من المحكومين، والعامة يتعلمون منه سبل العيش في سلام، وكيف يحققون التوافق فيما بينهم، ويتجنبون كل ما يثير الحقد والضغائن والتباعد والتخاصم، وكيف يحافظون على الود والائتلاف والمحبة.

6- أسلوب كتاب" كليلة ودمنة":

أسلوب الكتاب من أرقى الأساليب، وكان له آثارا بعيدة المدى في تقدم البثر العربي، فابن المقفع عرف بين معاصريه بأنه في الذروة من البلاغة ورجاحة العقل، وقد أوضح أسس أسلوبه في كثير من العبارات كقوله:" إياك والتتبع لوحشي الكلام طمعا في نيل البلاغة، فإن ذلك هو العي الأكبر".

وقد امتزج في أسلوب ابن المقفع إطناب الفرس وبلاغة العرب وإيجازهم، ومنطق اليونان ونزعتهم العلمية، وخيال الهند وارستقراطيتهم في أساليبهم، ولذلك فإن أسلوبه مذاق خاص يمتاز على غيره من الأساليب، فأسلوبه يعتمد على اليسر والوضوح، والاقتصاد في الألفاظ، والدقة في التعبير، والتوازن التام بين المعاني والألفاظ.

والأفكار تسير في تسلسل رزين نحو الهدف، والبراهين جلية قوية، والجمل تميل إلى الطول والحرص على تقسيم وهو قلما يعني بالمحسنات اللفظية، ويبتعد عن السجع إلا ما قد تدعو الضرورة إليه، والإيجاز هو الغالب إلا أن يشعر بغموض الفكرة أو بعد المعنى، فيلجأ لإيضاحه بالتعبير عنه بتعبيرات مختلفة.

ورغم أن الكتاب موضوع على ألسنة الحيوانات، فهو لا يهتم كثيرا بوصفها وتنوع طبائعها، لأنه اتخذ منها رموزا للبشر، وتبيانا لسجاياهم وأطماعهم، فهي إطار فني ليس غير، كي يجب الكاتب حريته في عرض آرائه في السياسة والاجتماع والأخلاق وليتمكن من الدعوة إلى الإصلاح الذي يبتغيه.

وقد أتيح لابن المقفع أن يستغل هذا الرمز على نطاق واسع، إذ أطلق الحيوانات بكل ما لم يستطع التصريح به أو إعلانه، من نقد للحكام، وللأوضاع المختلفة والمختلة، وكشف الدوافع الخبيئة الكامنة وراء كثير من أفعال الناس وأقوالهم وسلوكهم، الذي يتسم غالبا بالالتواء والنفاق.

7- قيمة كتاب كليلة ودمنة وتأثيره:

1-حظي هذا الكتاب بتقدير بالغ بين مختلف الطبقات والمذاهب والاتجاهات، فقيمته الفلسفية واضحة جلية في تعاليمه الأخلاقية ومثله العليا، وقد ألح الكتاب على إبرازها وتوضيحها، وقيمته الأدبية ظاهرة فيما أدخله على الأدب العربي من وضع القصص الطويل المفصل الهادف على ألسنة الحيوان، وانتشار أمثاله في أكثر اللغات والثقافات، ومختلف البيئات.

2-وقد شاع هذا اللون بعد كليلة ودمنة، واستغله كثير من الكتاب، ف (سهل بن هارون) يؤلف "ثعلة وعفرة" في معارضة كليلة ودمنة، ووضع ابن الهبارية على منواله كتاب" الصادح والباغم" وصنف ابن عربشاه كتابيه:" فاكهة الخلفاء ومناظرة الظرفاء" و" مزربان نامه" وقام بترجمة الأخير من الفارسية وكلاهما على نسق كليلة ودمنة.

3- وفي كليلة ودمنة تقدير بالغ للعقل، ونظرة تذكرنا بنظرة المعتزلة وتقديرهم للعقل، وكان ابن المقفع على صلة بالمعتزلة وبحوثهم وآرائهم، ووضع بعض الرسائل للرد عليهم.

4-وفي الكتاب بذور للعمل الروائي، خاصة في الأمثال الطويلة حيث يظهر المؤلف ويقوم بتفصيل المقدمات، وما يتصل بالزمان والمكان، وربط الأفكار وتوضيح الأحداث والأقوال، ثم التعليل لما يعتقد أن فيه شيئا من الغموض.

المحاضرة السابعة : المقامات بديع الزمان الهمذاني

توطئة :

تعدُّ المقامات من أهم الفنون النثرية في الأدب العربي، تكمن أهميتها في ثورتها على المجتمع العباسي، ومن أوائل من كتب فيها وأبدع هو بديع الزمان الهمذاني.

1- ما هي المقامات؟

أ- المقامة لغة :

جاء في لسان العرب "لابن منظور" المقامة تعني الموضع الذي تقيم فيه. وورد ذكر المَقامة في الشعر القديم منذ العصر الجاهلي، ففي قول سلامة بن جندل السعدي مفتخرا بقومه:

يومان: يوم مقامات وأندية ويوم سير إلى الأعداء تأويب

وهنا تعني لفظة مقامات: مجالس.

أما أصل لفظة المقامة فتعنى: المجلس والمقامة والموضع الذي تقيم فيه. قال تعالى:" حسنت مستقرا ومقاما"[1].

ثم توسع المعنى فأطلقت على الخطب والأحاديث التي تقال في المجالس، واستمرت دلالة الكلمة حتى عصر بديع الزمان الهمذاني في القرن الرابع الهجري.

وفي قول لبيد بن الربيعة:

ومَقامة غُلْبِ الرقاب كأنهم جن لدى باب الحصير قيام

[1] ابن منظور : لسان العرب ، مادة " قام " ، ص 1542.

وهنا تعني لفظ مَقامة: **الجماعة في المجلس.**

يقول صاحب لسان العرب: المَقام والمَقامة: المجلس، ومقامات الناس مجالسهم، ثم يستشهد على هذا ببيت لبيد السابق، ويقول: "ويقال للجماعة يجتمعون في مجلس مَقامة" والجمع مقامات. ثم انشد قول زهير بن أبي سلمى:

وفيهم مَقامات حسان وجوههم وأندية ينتابها القول والفعل

ويتطور مفهومها في العصور التالية، فالجاحظ في العصر العباسي يتحدث عن "مقامات الشعراء" بمعنى المكانة التي كانوا يحظون بها.

كما ورد في أساس البلاغة للزمخشري: "قام بين يدي الأمير بمَقامة حسنة وبمقامات: بخطبة أو عظة أو غيرهما.

ب- المَقَامة اصطلاحًا:

هي فنٌّ من فنون النثر الفني، له بناؤه الخاص وخصائصه الفنية ، وهي قصة قصيرة مسجوعة العبارات والجمل، يُظهِرُ فيها الكاتب براعته اللغوية، فهو يجمع في المقامة بين القصة والسرد القصصي، وبين الشعر واللفظات المتناغمة شعريا، ويكون لكلِّ مقامة بطلٌ راوٍ يروي أحداثها ويتميّز بالفكاهة والبراعة اللغوية وحسن سرد أحداث القصة المُرادة.

هي نوع من الحكايات القصيرة الحافلة بالحركة التمثيلية المعتمدة على المغامرة، تكتب بلغة إيقاعية مطعمة بالشعر، يحكيها راوٍ من صنع خيال الكاتب.

2- أركان المقامة: تقوم المقامة على ثلاثة أركان: الراوي، والبطل، والنكتة.

أ- الراوي :

يكون في كل مقامة راوٍ معين باسمه، يتكرر في جميع المقامات، فراوي مقامات الهمذاني مثلاً هو (عيسى بن هشام) و راوي مقامات الحريري هو (الحارث بن همام).. وهو من ينقلها عن المجلس الذي تقع فيه، ينتمي في غالب الأحيان الى طبقة اجتماعية متوسطة، يتابع البطل أو

يصادفه، ويمهد أحياناً لظهوره، ويبدو وكأنه يتبعه أينما مضى، ويحسن طريقة تقديمه، ويسخط في غالب الأحيان على أخلاق البطل واحتياله وخداعه، ولا يكتشف أمره أحياناً إلا في نهاية المقامة.

ب- البطل : ويكون لكل مجموعة مقامات معينة أيضاً بطل قصتها الذي تدور حوله، وتنتهي بانتصاره في كل مرة، وهو يتكرر في جميع المقامات تماماً كالراوي باسمه وشخصه، فبطل مقامات الهمذاني مثلاً هو (أبو الفتح الأسكندري)، وبطل مقامات الحريري هو (أبو زيد السروجي)، وهو شخص خيالي – غالباً – مخادع ينتمي الى شريحة المحتالين الأذكياء البلغاء، الذين يستخدمون الحيلة والفطنة والدهاء في استلاب الناس أموالهم، لذا فإن أبرز ميزات البطل الشحاذ هي أن يكون خفي المكر، لين المصانعة، فتيق اللسان، شديد العارضة، مفوهاً حذاقياً، واسع المعرفة في صنوف الأدب وغريب اللغة وأحكام الدين وصنوف العلم، فهو شاعر وخطيب وواعظ، يتظاهر بالإيمان والزهد ويضمر الفسق والمجون، ويتصنع الجد ويخفي في طياته الهزل، ويظهر غالباً كشخص مسكين متهالك بائس، إلا أنه في واقع الأمر طالب منفعة.

والحقيقة أن الشخصية التي يستشعرها القارئ ليست شخصية البطل الأسطوري هذا وإنما هي شخصية مؤلف المقامة الذي ينبغي له أن يكون واسع الاطلاع على مختلف الفنون والعلوم، قدير في النظم والنثروالخطابة، قوي الملاحظة حاد الفكرة في حل الألغاز وكشف المبهمات، وهو بنفس الوقت هزل مرح النفس أمام الصعوبات واجتيازها .

ج- **النكتة** : تدور كل مقامة من المقامات على نكتة خاصة وفكرة معينة يراد ايصالها عن طريق البطل الشحاذ، وتكون عادة فكرة مستحدثة، أو ملحة مستظرفة، وقد تستبطن فكرا جريئاً لا يدفع غالباً الى تبني السلوك الإنساني الطبيعي، أو الحث على مكارم الأخلاق، وموضوعات المقامات تكون مختلفة، فمنها ما هو لغوي، أو أدبي، أو بلاغي، ومنها ما هو فقهي ، أو حماسي أو فكاهي، ومنها ما هو خمري أومجوني، بحيث تترادف المقامات في مواضيع مختلفة خالية من

النسق والترتيب أو يكون ترتيبها غير ظاهر الترابط بوضوح، فكل مقامة تعتبر وحدة قصصية قائمة بنفسها تعتمد وحدة المكان غالباً. ويغلب المقامات عادة الفكاهة والملح النادرة.

3- السمات الفنية للمقامة:

كشف تعريف فن المقامة عن تلك الفنية الخاصة التي تتمتع بها المقامة كفن أدبي نثري، لا سيّما أنها استحدثت في النثر ونهضت به ليحقق ذيوعًا واسعًا في العصر العباسي وما بعده مقارنة بالشعر، ومن هذه السمات المميزة لفن المقامة:

أ- **المقامة فن محكي:** أي يقوم الراوي العارف دائمًا بسرد مجريات أحداثها، وقد أشير خلال تعريف المقامة، إلى طبيعته الحكائية .

ب- **البلاغة والفصاحة:** فقد كتبت المقامات غايات تعليمية، تقتضي وجود استعراض لغوي ومعرفي كبير.

ج- **السجع:** وهو توافق أواخر الكلمات في فواصل الجمل، وهو ما يعطي المقامة حسًا موسيقيًا إلى جانها البلاغي قوة وجمالية، ولعل هذه السمة هي ما جعلت هذا الفن على عاليًا يضفي اتصال تاريخي بسجع الكهان الذي أشير إليه في تعريف المقامة.

د- **الخيال:** ولعله من أبرز السمات المضمونية وضوحًا في المقامة، حيث يعني الكاتب تفكيره ويختلق الأحداث والشخصيات لتقوم بالقصة المطلوبة .

هـ- **المزاوجة بين الفن النثري والفن الشعري:** حيث تتخلل الأشعار كثير من المقامات، فتزيدها فنية وإبداعًا.

و-**تشمل المقامة عناصر القصة المتكاملة:** من شخوص وحبكة وأحداث وبيئة زمكانية.

ي-**الوحدة الموضوعية:** حيث تدور في معظمها حول موضوع الكدية والاحتيال، الذي أشير إليه في تعريف المقامة.

ز-**تضم في فحواها الفكاهة والسخرية من الواقع**

ر-**تحمل رسالة للمجتمع:** فهي تقدم معظم المقامات حلولًا غير مباشرة لكثير من المشكلات الإجتماعية والإقتصادية من خلال تسليط الضوء عليها، كما تم توضيحه في تعريف المقامة.

4- من هو بديع الزمان؟

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحي الهمذانيّ، ولد سنة 358هـ في همذان، وهي مدينة جبلية في إيران، ومع ذلك كان عربيًا مضريًا.

سمي ببديع الزمان إعجابًا به وبما أتى به من فنون أدبية وبراعة أخذت بالألباب، فقد كان عجيبا في سرعة بديهته، ويمتلك ذاكرة مدهشة وذكاء حادا ومقدرة مذهلة، قال الثعالبي في يتيمة الدهر يصفه:" كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها قط، وهي أكثر من خمسين بيتًا، فيحفظها كلها ويؤديها من أولها لآخرها، لا يخرم حرفا ولا يخل بمعنى، وينظر في الأربعة والخمسة أوراق من كتاب لم يعرفه نظرة واحدة، ثم يهذّها عن ظهر قلب ويسردها سردًا"[1].

فضلا عن ذلك كان حسن الهيئة، خفيف الظل، حسن العشرة، عظيم الخلق، شريف النفس.

تلقى العلم على أستاذه العالم أحمد بن فارس، غير أن روحه التواقة إلى العلم والمعرفة دفعته لمغادرة همذان، فتوجه إلى الري حيث الوزير الأديب (الصاحب بن عباد) الذي أعجب به وبفصاحته وشعره، ثم رحل إلى نيسابور، حيث ناظر أبا بكر الخوارزمي (أعلم أهل عصره باللغة والأدب وأقربهم إلى الملوك والأمراء) فاستطاع بسرعة بديهة وقوة حجته أن يغلبه أمام الجموع. فخسر الخوارزمي. ويقال أنه مرض بعد ذلك بسبب حزنه وقهره، ثم مات.

[1] الثعالبي : يتيمة الدهر ، ج4، ص293 .

وشاع صيت بديع الزمان وانتشرت شهرته، ثم غادر إلى مدينة هراة، حيث استقر فيها وتزوج وعاش عيشة رغيدة، وصار كعبة لطلاب الأدب واللغة ومقصدا يقصده أصحاب الحاجات.

توفي وهو في شبابه ابن الأربعين عاما سنة 398هـ، ويقال بسبب سم دسه أحد خصومه من أتباع الخوارزمي.

كان بديع الزمان يختم مقامه أو مجلسه أو درسه لطلابه في نيسابور بحكاية، ولعل ذلك الأمر جعله يختار لها اسم (المقامة).

5- تعريف مقامات بديع الزمان الهمذاني؟

ومقامات بديع الزمان هي حكايات يرويها راوٍ عيسى بن هشام، وشخصية الرواية في القصص الشعبي مهمة جدا، تمنح هذا النوع من الأدب حلاوته وجماله.

والرواية بدوره يمهد لظهور البطل، فيتابعه ويحركه في الوقت المناسب، وكيفما يريد.

البطل في المقامات هو أبو الفتح الإسكندري، شخصية وهمية عبقرية ذكية، لكنه مُكْدٍ والكدية: هي حرفة السائل والشحاذ.

إنه يتخذ من الحيلة والمراوغة وسيلة لعيشه، وهو في سائر مقاماته إما يقوم ببلاغة لفظية أو وعظية، وإما أن يقوم بحيلة فنية كي يكسب عطاء الآخرين.

6- موضوعات عامة:

1-**الكُدية والاحتيال:** غالبا ما يلجأ بديع الزمان إلى هذا الموضوع، وقد استوحاه من الجاحظ في كتابه البخلاء وحكاياته عن أهل الكدية من الشحاذين، لأنهم برزوا كثيرا في عصره، وعرفوا بالساسانيين.

2-**الأدب والنقد والألغاز**: كان لانتصار مذهب الصنعة في القرن الرابع الهجري أثره في الكتابة العربية، فقد عني الهمذاني بالسجع الذي كان مهوى أفئدة العصر، ساعده على ذلك حافظة نادرة، وبديهة حاضرة، وذكاء حاد، ومهارته في استعمال اللغة ومفرداتها وأبنيتها بدقة وتميز.

مثال: المقامة الجاحظية، وفيها يعيب الهمذاني على الجاحظ نفوره من التصنع والتصنيع، وجنوحه إلى الاسترسال والسهولة.

المقامة المقامات التعليمية: نرى الاسكندري وهو بطل المقامات يستخدم أساليب متنوعة كالأسئلة المحيرة والألغاز.

المقامة الشعرية: وفيها يقول:" كان عيسى بن هشام (الرواية) في رفقة أصدقائه يتذاكرون الشعر، فإذا بفتى يستمع إليهم، وقد أثار ضجرهم، فأبعدوه. ثم عاد إليهم وطلب منهم أن يسألوه، فانهالت عليه الأسئلة وهو يجيب.

3-**الوصف**: وهو موضوع من موضوعات المقامات، فقد تفنن بديع الزمان في الوصف من موضع إلى آخر كما في (المقامة الأسدية) وكذلك وصف الصهباء في (المقامة الخمرية).

7- أهداف تأليف مقامات بديع الزمان الهمذاني:

1-نقد العادات والتقاليد السيئة والشخصيات السلبية في المجتمع.

2-تعليم الناشئة والطلاب اللغة واستعمالاتها، والأدب وطرائقه والصنعة وفنونها. وذلك في أسلوب قصصي قصده الهمذاني قصدا، ليكون شكلا براقا، يجذب إليه الطلاب ويسهل عليهم مادة دراستهم.[1]

[1] ينظر شوقي ضيف : المقامة ، ط5، دار المعارف ، بيروت ، ص575.

3-إبراز مقدرة الهمذاني اللغوية والتربوية وأن يتفوق على ابن دريد وعلى من سبقه في هذه الطريق[1]، فألف أربعمائة مقامة وصل إلينا منها اثنتان وخمسون مقامة فقط.

وقد نالت المقامات إعجاب الكثير من الأدباء فقلدوها، وأهمهم:

الحريري- عبد العزيز السعدي- الزمخشري- ابن الجوزي- أبو بكر الرازي وغيرهم.

ومن العصر الحديث قلدها حسن العطار في مصر، والألوسي في العراق، وأحمد فارس الشديان، وناصيف اليازجي في الشام.

كما ترجمت المقامات إلى العديد من اللغات الأجنبية العالمية، ونالت شهرة كبيرة.

غير أن أصحاب المقامات ممن أتوا بعد الهمذاني قد بالغوا في الصنعة والإغراب في اللغة، الأمر الذي قطع الطريق بين القصة والفصحى، فتحولت إلى العامية مثل (سيرة عنترة- تغريبة بني هلال- الظاهر بيبرس- سيف بن ذي يزن).

نموذج من مقامات بديع الزمان الهمذاني :

المقامة البغدادية[2]

حدثّنا عيسى بن هشام قال: اشْتهيْتُ الأَزَاذَا، وأَنَا بِبَغْدَادَ، وليسَ مَعي عَقْدٌ عَلى نَقْدٍ، فخرَجْتُ أَنْتَهِزُ مُحَالَّهُ حَتَى أخلْنِي الكَرُخَ، فَإِذَا أنَا بِسَوَادِيٍّ يَسُوقُ بِالجَهْدِ حِمَارَهُ، ويَطْرفُ بِالعَقْدِ إِزَارَهُ، فَقُلْتُ: ظَفِرْنَا والله بِصَيدٍ، وَحَيَّاكَ اللهُ أَبَا زَيّدٍ مِن أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ وَأَيْنَ نَزَلْتَ؟ وَمَتَى وَافَيْتَ؟ وَهَلُمَّ إِلَى البَيْتِ، فَقَالَ السَّوَادِيُّ : لَسْتُ بِأَبِي زَيْدٍ، ولَكِنّي أَبُو عُبَيدٍ، فَقُلْتُ: نعم، لعن الله الشيطان، وأبعدَ النسيانَ، أَنْسانيكَ طولُ المَهْدِ، واتصال البُعْدِ، فكيف حالُ أبِيكَ؟ أشابٌ كَعَهدِي، أم شابَ بَعْدي؟ فقال: قد

[1] دينا ملكاوي: النثر الخيالي في الأندلس في القرنين الخامس والسادس الهجريين (التشكيل والتأويل) ، ص93.

[2] الهمذاني: مقامات الهمذاني، ،تقديم وصنعة: قصي الحسين، ط:1، دار الشمال-بيروت، ،1989م،ص 119

نَبَتَ الربيعُ على ذمتِه، وأرجُو أن يُصيرهُ الله إلى جَنَّتِهِ، فقلتُ:إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ومَددْتُ يدَ البِدَارِ، إلى الصِدَارِ، أريدُ تمْزيقَهُ، فقبضَ السَّوادِيُّ على خَصْري بجِمُعه، وقال: نشتاق الله لا مَزَقْتَه، فقلتُ: هلُمَّ إلى البيتِ نُصِبْ غَداءً، أو إلى السوقِ نَشْتَرِ شِواءً، والسوق أقْرَبُ، وطعامهُ أطْيَبُ، فاستفَزَتْه حمة القرَم، وعطفته عاطفة اللَقَمِ، وطمِعَ، ولم يعلم أنهُ وقَعَ، ثم أتينا شَوَّاء يتقاطرُ شِواؤُهُ عَرَقًا، وتتسايَلُ جُوذَابَاتُهُ مَرَقًا، فقلتُ: افْرِزِ لأبي زيدٍ من هذا الشواء، ثم زِنْ له من تلك الحَلْواء، واخترْ له من تلك الأطباقِ، وانضِدْ عليها أوراقَ الرُّقاقِ، ورُشَّ عليه شيئًا من ماء السُّمّاقِ، ليأكله أبو زيد هَنيًّا، فانْخى الشواء بساطوره، على زُبدة تثُورِهِ، فجعلها كالكَحْلِ سَحْقًا، وكالطحن دقًا ثم جلسَ وجلسْتُ، ولا يَئسَ ولا يئسْتُ، حتى استوفينا وقلتُ لصاحبِ الحلوى: زِنْ لأبي زيدٍ من اللُوزينج رِطْلَينِ فهو أجْرَى في الحُلوقِ، وأمْضَى في العُروقِ، ولْيَكنْ لَيِّلي العُمرِ، ويوميُ النَشرِ، رقيقُ القِشرِ، كثيف الحَشْوِ، لُؤْلُؤيُّ الدُّهْنِ، كوكبيُّ اللونِ، يذوبُ كالصَّمغِ، قبل المضْغِ، ليأكله أبو زيدٍ هنيئًا، قال: فوزنه ثم قعدَ وقعدتُ، وجرَّدَ وجرَّدتُ، حتى استوفيناه، ثم قلت: يا أبا زيدٍ ما أحْوجَنا إلى ماءٍ بالثلجِ، ليقْمَعَ هذه الصَّارَّة، ويفثأ هذه اللُقم الحارّة، اجلسْ يا أبا زيد حتى نأتيكَ بسَقَّاءٍ، يأتيكَ بِشَرْبة ماءٍ، ثم خرجتُ وجلستُ بحيث أراه ولا يراني أنظرُ ما يصنعُ، فلما أبْطأتُ عليه قامَ السّوادِيُّ إلى حماره، فاعْتلقَ الشوَّاءُ بإزارِه، وقال: أينَ ثمنُ ما أكَلْتَ؟ فقال: أبو زيدٍ: أكلتُهُ ضيفًا، فلَكَمَهُ لكمَةً، وثنَّى عليه بلَطْمةٍ، ثم قال الشوَّاءُ: هَاكَ، ومتى دَعَوْناكَ؟ زِنْ يا أخا القِحَة عشرين، فجعلَ السَّوادِيُّ يبْكي ويَحُلُّ عُقَدَهُ بأسنانهِ ويقول: كمْ قلتُ لِذاكَ القُرَيْدِ، أنا أبو عُبَيْدٍ، وهو يقول: أنتَ أبو زيدٍ، فأنشدْتُ:

أَعْمِلْ لِرِزْقِكَ كُلَّ آله*** لا تَقْعُدَنَّ بِكُلِّ حاله

وانَهَضْ بكلِ عَظِيمَةٍ*** فالمَرْءُ يَعْجِزُ لا مَحَالَه

ثانيا : مقامات الحريري :

1- من هو الحريري؟

أبو محمد القاسم بن علي (446هـ-1054م/516هـ-1112م) كان من أشهر كتاب المقامات ، فقد كتب خمسين مقامة سار فيها علو نهج بديع الزمان الهمذاني من حيث الموضوعات والمضامين ، ومن حيث الأهداف والمقاصد ، ومن حيث البناء الفني والأسلوب . حتى إنَّه سمَّى بعض مقاماته بأسماء عدد من مقامات بديع الزمان كالبغدادية والحلوانية وغيرها[1]. وركزَّ أكثر على الكدية والمسائل الفقهية .

ومن حيث الأهداف ؛ فقد كانت أهداف مقامات الحريري مشابهة لأهداف بديع الزمان الهمذاني ، لكن الحريري أكثر من إيراد الوعظ في مقاماته ، واهتم بالجانب التعليمي أحيانا .

ومن حيث الأسلوب ؛نسج الحريري مقاماته على منوال الهمذاني ، لكن الحريري بالغ في استخدام غرائب اللغة وأكثر من التلاعب بالألفاظ ، وأورد من الأحاجي والألغاز ، واهتم بكثرة بالتصوير وضروب البديع .

وتدور مقامات الحريري في مجملها حول ابتزاز المال عن طريق الحيلة من خلال مغامرات بطلها " أبو زيد السروجي" التي يرويها " الحارث بن همام" . لغتها مسبوكة متينة ، لاتخلو من التصنع .تحفل المقامات بمعجم غني بالمفردات ؛ ولاريب أنَّ الغرض من المقامة لم يكن جمال القصص وإنما أُريد بها قطعة أدبية فنية تجمع شوارد اللغة ونوادر التركيب بأسلوب مسجوع ، كما

[1] ينظر الحريري : مقامات الحريري ، تح: عيسى سابا ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، 1978م، ص21-105.

أنَّ أصحاب المقامات جملة لم يعنوا بتصوير الحكايات وتحليل الشخوص ، ولم يكن همَّ المنشئ للمقامات إلاَّ تحسين اللفظ وتزيينه"[1]

ثانيا – المنامات :

المنامات قصص تدور أحداثها في الأحلام ؛ يعالج فيها الكاتب موضوعا موضوعا معاصرا ، ويكون الكاتب هو الراوي وبطل المنامات أو أحد شخوصها المشاركين في أحداثها . وقد ظهر هذا اللون في العصر العباسي من خلال كتاب ألفه الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا البغدادي (ت281هـ)، وفي هذا الكتاب وردت لفظة المنام ، النوم ، وفيها يرى النائم مترادفة بمعنى الرؤى والأحلام .

وأشهر من كتب المنامات ركن الدين الوهراني (ت575هـ)، تطرق إلى موضوعات شتى ، وتصدى لمشاكل مختلفة : اجتماعية ، وسياسية ، وثقافية ، ودينية ، وشخصية . كتب عنه ابن خلكان في وفيات الأعيان " أحد الفضلاء الظرفاء ، عدل عن طريق الجد وسلك طريق الهزل ، وعمل المنامات والرسائل المشهورة به والمنسوبة إليه ، وهي كثيرة الوجود بأيدي الناس ، وفيها دلالة على خفة روحه ورقة حاشيته وكمال ظرفه ، ولو لم يكن فيها إلا المنام الكبير لكفاه ، فإنَّهُ أتى فيه بكل حلاوة ، ولولا طوله لذكرته "[2]

ويقول عبد العزيز الأهواني " هذه المجموعة من النصوص تمتاز في تاريخ النثر الفني في الأدب العربي القديم بميزات ترفعها إلى مقام عال . ولا نكاد نجد في النثر العربي القديم نصوصا فيها ما في كتابات الوهراني من حيوية وذكاء ولمحات تعبّر عن شخصية الكاتب ، وتصور في

---

[1] المصدر نفسه ، ص7.

ركن الدين الوهراني : منامات الوهراني وحكاياته ، تح : منذر الحايك ، صفحات للدراسات والنشر ، دمشق ، سوريا ،ط1، 2011م

[2] ،ص22.

دقة وبلاغة بعض جوانب الحياة الفكرية والاجتماعية في عصر من عصور التحول في المجتمع العربي"[1]

[1] ركن الدين الوهراني : منامات الوهراني ومقاماته ورسائله ، تح : إبراهيم شعلان و محمد نغش ،منشورات الجيل ، ألمانيا ، ط1، 1998م،ص و.

المحاضرة الثامنة : الرسائل الديوانية والإخوانية في المشرق والمغرب والأندلس

توطئة:

الرسالة باب من أبواب النثر الفني البديع، نافست الشعر في كل عصر ومصر، حتى في أزهى عصوره، تواجده كان كالوحي الجميل يتربص بصاحبه، ويكون ضيفه في أوقات الصفاء، يرد على القرائح كما يرد الشعر على الخواطر، فتعددت أنواعها وتفرعت وتشعبت مواصفاتها، وتنوعت آليات كل نوع وتصلفت، وساهمت في إبراز مقدرة الكاتب وموهبته وروعة أساليبه البيانية القوية.

أولاً- ماهية الرسائل:

1- التعريف اللغوي:

يعود اشتقاق لفظة (رسالة) إلى المادة اللغوية (ر س ل)، تطرقت إليه معاجم اللغة العربية فذكره الفيروز آبادي من أن " الرَّسَلُ ، مُحركة القَطيعُ من كل شيء، ج: أرساله " [1]، وفي الحديث: ، إلاَّ مَنْ أعطى في نَجْدتها ورِسْلِها"، يريد الشدَّة والرخاء والرِسْلُ أيضاً: اللَبن. وقد أَرْسَلَ القوم، أي صار لهم اللَبن من مواشيهم» [2] و (الرَسلُ): «القطيع من الإبل أو الغلم، يُقال: أرسلوا أكثر رَسَلِهم أي قطائع [3]، ثم تطور المدلول إلى الإرسال بمعني التوجيه والاسم رِسالة ورَسالة [4] وذكر في معانيها غير ذلك.

---

[1] - الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005، ص: 1005.

[2] - الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ج 4، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، م4، 1987، ص: 1709.

[3] - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان ، ط 1، مادة رس ل: 28/11.

[4] - المرجع نفسه والمادة نفسها.

وقد وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى:" وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ" [1]. كما وردت في قوله تعالى:" أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ".[2]

كما ورت الرسالة في كتاب:" نقد النثر" لقدامة بن جعفر في قوله: " الترسل من تراسلت ترسلا، ولا يقال ذلك إلا لمن يكون فعله في الرسائل قد تكرر، وراسل يراسل مراسلة فهو مراسل ،وذلك إذا كان هو ومن يراسله قد اشتركا في المراسلة، وأصل الاشتقاق في ذلك أنه كلام يراسله به من بعد وغاب، فاشتق له اسم الترسل والرسالة من بعد ذلك"[3].

2- التعريف الاصطلاحي:

وفي الاستعمال الأدبي هي تسمية واسعة لأي نص موجه إلى فرد أو جماعة ولها أغراض عديدة منها الوصف والدعوة والفخر ، يرتبها الكاتب من حكاية إلى حال ، من عدو أو صديق ، أو مدح أو تقويض ، أو مفاخرة بين شيئين ، أو غير ذلك مما يجري هذا المجرى .[4]

والترسل مصطلح أدبي يقوم على ترجمة ما يدور في العقل من كلام حول مواضيع معينة على شكل رسائل قد تكون رسمية أو إخوانية أو أدبية أو سياسية ، تصدر من كاتب يحاول أن يبسط من خلالها ما يريد على شكل أفكار متتابعة ، يترجمها لكلمات يؤلف بينها لتكون جملا وفقرات بأسلوب فيه تؤدة وسهولة ووضوح من المرسل إلى المرسل إليه ، وتعرف الرسالة بأنها فن قائم على خطاب يوجهه شخص إلى شخص آخر ، أو يوجهه مقام رسمي إلى مقام رسمي آخر، أو

---

[1] سورة يوسف ، الآية 09

[2] سورة مريم ، الآية 83

[3] قدامة بن جعفر : نقد النثر ،تح :طه حسين بك ، عبد الحميد العيادي ،ط1، دار الكتب المصرية ، القاهرة ،1983م،ص 95.

[4] ينظر : القلقشندي : صبح الأعشى ، إشراف : سعيد عبد الفتاح عاشور ، ط2، وزارة الثقافة ، القاهرة -مصر،1963م ، ج14 ،ص 183.

مايكتبه المرء إلى صديق أو أهل له ، وتكون موجزة محدودة الموضوع سهلة الأسلوب خالية من التأنق اللفظي غالباً[1] .

ويرى **ابن طباطبا** أن الرسالة بمدلولها الإنشائي كالقصيدة إلا أنها لا ترسم بالوزن وأن الشاعر " يسلك منهاج أصحاب الرسائل في بلاغتهم وتصرفهم في مكاتباتهم، ولأن للشعر فصولا كفصول الرسائل فيحتاج إلى أن يصل كلامه على تصرفه في فنونه صلة لطيفة... بل يكون متصلا به وممتزجا معه" [(2)]

الرسالة قطعة من النثر الفني تطول أو تقصر تبعا لمشيئة الكاتب وغرضه وأسلوبه، وقد يتخللها الشعر إذا رأى لذلك سببا، وقد يكون هذا الشعر من نظمه أو مما يستشهد به من شعر غيره، وتكون كتابتها بعبارة بليغة وأسلوب حسن رشيق، وألفاظ منتقاة ومعان طريفة. وهي أنواع يمكن تحديد تسميتها من خلال معرفة مادتها، ومن خلال هوية المرسل إليه وغايتها منه، وما تريده من استثارة فيه عرفت اتساعا في تلك الأنواع وتعددا يفعل ما تحمله من مادة علمية ومن أشهر الأنواع التي عرفها العرب في شق تاريخهم القديم يمكن حصر أهمها في الرسالة الديوانية والاخوانية والسياسية والأدبية.

ثانيا- أنواع الرسائل وخصائصها:

1- الرسائل الديوانية:

أ-تعريفها:

الرسائل الديوانية: هي الرسائل الصادرة عن الديوان، وتسمّى بالرسائل السياسية أو الرسائل الرسمية وتهتم هذه الرسائل بالشؤون الإدارية.

---

[1] ينظر : محمد التونجي : المعجم المفصل في الأدب ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1994م، ج2، ص478.

[2] - محمد بن طباطبا، عيار الشعر، تحقيق: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، لبنان، ط 2، 2005، ص: 12.

ب- موضوعاتها:

وأما أشكال الكتابة الديوانية فقد كان أهمها الرسائل المتبادلة التي تتعلق بأعمال الدولة ، ورسائل التهديد ، والبشائر ، والتوقيعات التي يكتبها الخلفاء والوزراء ، وكتاب الدواوين على ما يرفع إليهم من كتابات ، والعهود بالخلافة ، وبولاية العهد والبلدان. يقول شوقي ضيف:" ومن ينظر نظرة عامة في موضوعات الرسائل الديوانية لهذا العصر يلاحظ أنها كانت تتناول تصريف أعمال الدولة وما يتصل بها من تولية الولاة ، وأخذ البيعة للخلفاء وولاة العهود، ومن الفتوح والجهاد ومواسم الحج والأعياد وأخبار الولايات..."[1].

(أ)- الرسائل الملوكية:

وهي التي تكتب على لسان السلطان إلى أحد الملوك أو الأمراء في أمر هام، ردا على رسالة أو ابتداء بها، وهذا النوع أهم رسائل الديوان، وأوثقها تعبيرا عن السياسة العليا للدولة، فقد تكون عقدا لمودة، أو تهديدا لغزو أو أمرا يزحف أو اتهاما بممالأة خصم، أو إجابة لمعونة أو فضا لمشكلة أو شكرا على هدية أو نحو ذلك.

(ب)- العهود:

والعهد رسالة من خليفة أو سلطان إلى من اختاره لولاية منصبه من بعده.

(ج)- المبايعات:

والمبايعة رسالة على لسان السلطان إلى الخليفة يبايعه فيها بالخلافة، أو على لسان الخليفة إلى السلطان يبايعه فيها بالسلطنة.

(د)- التقاليد:

والتقليد هو أمر تعيين يصدر إلى أحد موظفي الدولة الكبار يسند إليه الوظيفة، مثل رئيس ديوان الإنشاء أو قاضي قضاة الشافعية. وفيه تضفى عليه أثواب الثناء ويبين سبب اختياره،

[1] شوقي ضيف : العصر العباسي الأول ،ط8، دار المعارف، القاهرة ،ج3 ، ص468

ويوضح له اختصاصه ويوصى بالعدل وقد يقرأ التقليد في مسجد أو بين جمهور حسب أهميته، ومما يشبه التقاليد التواقيع والمناشير والمراسيم، ولكنها كلها. غالبا تصدر إلى الموظفين الأصغر.

(هـ)- البشارات:

والبشارة رسالة طلبية شائقة تبشر بمجيء السلطان من رحلة أو غزو، أو تبشر بانتصار الجيش أو وفاء النيل أو نحو ذلك وقد نقرأ البشارة في المساجد كالخطبة وقد ترسل إلى الآفاق لإعلانها أو قراءتها على الجماهير" [1].

2- الرسائل الإخوانية:

أ- تعريفها:

الرسائل الإخوانية: هي الرسائل التي تُظهر عواطف الناس من خوف وحب ورجاء وتهنئة وتعزية وغيرها من الأمور. وهي التي " يكتبها صديق إلى صديقه في مدح أو شكر، أو تهنئة أو تعزية أو شوق أو عتاب أو شكوى، أو مداعبة أو استدعاء أو مجون أو اعتذار، أو لغز أو سؤال علمي أو أدبي أو نحو ذلك مما يكون بين الأصدقاء، وقد راج هذا الضرب من الكتابة الأدبية، وكثيرا ما اتخذه بعض الأدباء وسيلة للتسلية وتمرين القريحة دون أن تكون هناك داعية اخوانية إلى ذلك " [2]

ب- موضوعاتها:

يقول شوقي ضيف:" تصور الرسائل عواطف الأفراد ومشاعرهم، من رغبة ورهبة ومن مديح وهجاء ومن عتاب واعتذار واستعطاف ،ومن تهنئة واستمناح ورثاء أو تعزية..."[3].

---

[1] - محمود رزق سليم، الأدب العربي وتاريخيه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، ص: 30.

[2] - المرجع نفسه ، ص: 31.

[3] شوقي ضيف : العصر العباسي الأول ، ص491

ولمّا كانت هذه الرسائل متعلقة بالأحاسيس والصلات الشخصية ، فقد تعددت المواضيع التي تتحدث عنها تبعا لتعدد المشاعر والأحاسيس ، واختلفت مضامينها باختلاف الأشخاص الذين يكتبونها والشخصيات الموجهة إليها . فكانت هناك رسائل في التشوق والمودة ، والعتاب والاعتذار ، والتهاني والتعازي ، والإهداء والشكر ، والمديح والهجاء...

الترسل في المشرق :

يعتبر الترسل من بين أشكال النثر الفني في الأدب العربي القديم، وقد بلغنا منه زاد غير قليل، ففي **العصر الجاهلي**، لا يمكننا أن نقع على رسائل مأثورة بين أفراده، وقد يعود ذلك لقلة استخدام الكتابة حينها في الأمور الفنية، وكذلك لصعوبة توفير وسائلها، فالعرب استخدموا الكتابة في العصر الجاهلي لأغراض سياسية وتجارية، لكنهم لم يخرجوا بها إلى أغراض أدبية خالصة، تتيح لنا أن نزعم أنه وجد عندهم لون من ألوان الكتابة الفنية "[1]

ويرى الباحثون أن القصة والمثل والخطبة وألوان أخرى من الكتابة الفنية حلت محل الرسالة حينها، وكان ممن عرف الكتابة من أهل البادية " أكثم بن صيفي حكيم تميم وخطيبها وابن أخيه حنظلة كاتب الرسول – صلّى الله عليه وسلّم– ، والمرقش الأكبر، و لبيد بن ربيعة "[2] وغيرهم.

ومع بزوغ **العصر الإسلامي** وانطلاقة الحياة الجديدة بالمفاهيم المختلفة التي أقرَّها الإسلام ومن أهمها دعوته الصريحة للقراءة والكتابة في القرآن الكريم، ليتحول فعل الكتابة مطلبا شريفا، بل واجبا حياتيا عكفت عليه العرب بعد عقود التجاهل الطويلة في حياتهم فتغيرت نظرتهم للحياة وواجباتهم الاجتماعية والعقائدية ، وباستقرار الرسول– صلّى الله عليه وسلّم – بالمدينة أخذ يراسل ويعاهد ويهادن يؤامن ملوك وسادات وأمراء الحواضر من اليهود والعرب والأجانب.

---

[1] - شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 10، د– ت، ص: 19.

[2] - امحمد يونس، في النثر العربي، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط 1، 1996، ص: 174.

- مثال ذلك رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس القبطي سنة 6 هـ يقول فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله، إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك ثم القبط، **(يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّه وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"**.

وفي عهد الصديق عرف كثرة الاختلاف والحرب والتعهدات ما جعلهم يكثرون من الكتابة، إضافة إلى رسالة عهد الولاية، التي سنها **أبو بكر الصديق رضي الله** عنه لخليفته **عمر بن الخطاب – رضي الله عنه**– ، ونذكر هنا أن كاتب أبي بكر الصديق كان عثمان بن عفان – رضي الله عنهما. أما في خلافة عمر كان تنظيم الدواوين نشط الخليفة في تولي أمور الكتابة، فكثرت مكاتباته إلى قادته وولاته وعماله وقضاته في كل الأصقاع، خاصة بعد امتداد الرقعة الجغرافية للدولة، وصعوبة أمر التواصل المباشر، فالخليفة من يتولى إملاء الرسالة بنفسه، وزاد عليهما في تدوينها وخاصة وثائق العهود.

وتنفتح الفتنة في عهد علي بن أبي طالب– رضي الله عنه – على متسع من حاجة استخدام الرسائل بين الفرقاء المتقاتلين أحزابا وجماعات تقريبا للرؤى واقناعا بالمواقف.

ولم تختلف الرسالة في عهد الخلفاء الراشدين الأربعة لا في شكلها أو بنائها، ولم تبتعد عن منهج الرسول في استفتاحها بالتعريف بالمرسل والمرسل إليه والحمدلة، أو ما تحويه مادة متنها من آيات وأحاديث وشعر وتشخيص، وكذلك في اقتصارها على الموضوع دون إطناب مع بلاغة تعبير وجمال أسلوب في غير تأنق مقصود وهكذا راحت تقترب من الفنية التي عرفتها الرسالة بعد ذلك.

-أمَّا الرسائل الخاصة أو ما كان يكتبه الأفراد لبعضهم البعض من إخوانيات، فيذكر الباحثون أنهم لم يقعوا في صدر الإسلام إلا على القليل جدا منها هذه رسالة الإخوانية التي تنسب إلى النبي – صلّى الله عليه وسلّم –يعزي فيها معاذ بن جبل ويواسيه في ولد مات له، وفيما عدا هذه الرسالة وبعضها " لا تتجاوز عدد الأصابع نرى عصر الرسول وعصر الخلفاء الراشدين يمر مسرعا أو مبطنا دون أن يصل إلينا شيء منه، ولا يعني هذا أنه لم تكن توجد إخوانيات كثيرة، بل لقد كانت وكانت أيضا في تطور "[1].

– أما الترسل في **العصر الأموي** فقد عرف ذروة ازدهاره اذ اتخذت الخلافة الأموية الكتابة حلية المجالس وتنافس في إجادتها الخلفاء والوزراء والولاة وكثر الكتاب " فقد كان لكل وال وقائد كاتب، وأحيانا كان يتخذ الوالي في العمل الكبير أو الولاية الكبيرة طائفة من الكتاب"[2]، وزاد الاهتمام بالتفنن في تطويرها واقتناء أبرع كتابها حتى سمي العصر بعصر الرسالة الفنية بنوعيها الديوانية والاخوانية وبات أجود كتابها دررا تقتنص وأثمن الهدايا التي يرتجى بها التقرب من مراكز السلطة والعطاء.

ثم تدرجت الكتابة الديوانية في إجادة التأنق واختيار أبلغ أساليب البيان وصناعة البلاغة والإطناب، " فكانت الظاهرة الأولى هي التطويل وما يطوى فيه من صنعة في بسط التعبير ومده، ثم العناية باختيار اللفظ اختيارا لا يخلو من مبالغة، والعناية بالأسلوب للملاءمة بين الفاظه ملاءمة تخرج به إلى ضروب من الترادف الصوتي "[3]، حتى إذا ما بلغنا " ديوان هشام بن عبد الملك حتى نحس أنه كان مدرسة كبيرة وهي مدرسة رقي فيها النثر الفني

---

[1] - المرجع السابق، ص: 90.

[2] - المرجع نفسه، ص: 466.

[3] - حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1، 1986، ص: 325.

لهذا العصر إلى أبعد غاية كانت تنتظره اذ كان يتولى ديوان الرسائل سالم مولى هشام... وقد اشتهر له تلميذان: ابنه عبد الله وصهره عبد الحميد الكاتب "[1].

وقد اتسمت الرسالة في ذلك العصر بجملة من الخصائص طبعت منتوج كتابها بلونيها الديوانية والاخوانية تمثلت في ما يلي:

- وبما أن أغلب الممارسين للكتابة في الدواوين أعاجم حرصوا على إجادة كتاباتهم " مستعينين بما لهم من أساليب في لغتهم، فضموها إلى أساليب العرب ووجوه أدائهم ووجهوا النثر العربي توجيها جديدا ... وأخضعوه لكل الأفكار والمعاني في مختلف أجزائها وترابط عناصرها "[2].
- الاهتمام الزائد بالتأنق اللغوي وحشد آلياته الفنية كالجناس والطباق والسجع والمقابلة وأساليبه المتنوعة شكلا ومضمونا وقد تجاوزها إلى الاهتمام بأدوات الكتابة والمراسلة.
- " لم يعد يملي الخليفة على كاتبه كما كان الشأن في القديم بل أصبح الكاتب يكتب الرسالة ثم يعرضها عليه، ومن ثم لم يعد الضمير في الرسالة ضمير المتكلم، بل أصبح ضمير غائب "[3].

أما الرسالة الاخوانية لم تحظ بعناية الديوانية فلم تكن بكثرتها، خاصة بعد التكالب بين الموالى في تحصيل مكانة وعمل قار يحفظ لهم الحياة الكريمة، ولعل نقطة ضوئها تتمثل فيما تركه عبد الحميد الكاتب من رسائل في سياق الإخوانيات. ويُعد عبد الحميد الكاتب " وبدون ريب أبلغ كتاب هذا العصر وأبرعهم وقد أسماه الجاحظ في بيانه عبد الحميد الأكبر، ونصح الكتاب أن يتخذوا كتابته نموذجا لهم، وظلت شهرته مدوية على القرون حتى قيل : " فُتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد " [4].

---

[1] - شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ص: 470.

[2] - حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ص: 324.

[3] - شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ص: 471.

[4] - المرجع نفسه، ص: 474.

ونستحضر في هذا المجال أسماء منها: **يحي بن خالد البرمكي**، و ابنه جعفر، **محمد بن عبد الملك الزيات**، و **أحمد بن يوسف الكاتب، ابن العميد**.

وفي **العصر العباسي** نشط فن الترسل واتسعت أدواره فبات من ضروريات الحكم تنشيط دواوين التواصل السياسي والاجتماعي، ولعل ديوان البريد كان على رأسها، فاتخذت نقاط السلطة شرقا وغربا كتابا للرسالة، حتى كاد يكون لكل عظيم من العلماء والقضاة والأغنياء كاتب رسائل، بل: " حتى نساء الخلفاء كن يتخذن الكتاب "[1] ومع مرور الزمن لم يعد ذلك من مظاهر البذخ والسيادة، بل أصبح من الضرورات التي تستوجبها تعاملات الحياة الحضارية.

وأمام هذا التوجه الواسع للرسالة من أغلب فئات المجتمع، وممارستها تقريبا اليومية حينها، فقد رسخت الديوانية منها حضورها في أغلب التظاهرات السياسية خاصة، فقد كانت " تتناول تعريف أعمال الدولة وما يتصل بها من تولية الولاة، وأخذ البيعة للخلفاء وولاة العهود، ومن الفتوح والجهاد ومواسم الحج والأعياد والأمان وأخبار الولايات وأحوالها في المطر والخصب والجنب، وعهود الخلفاء لأبنائهم ووصاياهم ووصايا الوزراء والحكام في تدبير السياسة والحكم، وأيضا فإنها أخذت تتناول بعض الأغراض التي كان يتناولها الشعر؛ من تهنئات وتعزيات وشكوى ."[2]

عرفت الرسائل الإخوانية في العصر العباسي نمواً واسعاً، وهي إذ تُكْتب على أوراق تحمل إلى المخاطب عواطف الكتاب ومشاعرهم، من تهنئة أو تعزية، ومن عتاب واعتذار واستعطاف، ومديح وهجاء وغير ذلك، مما كان يساق قبل شعراً، فاحتوت دوره فيها وزاحمته في عموم أغراضه رقة وإنشاء، بفضل ثلة من الكتَّاب أجادوا كتابة الرسائل إجادة بناء الشعراء للقصائد، بفعل الممارسة

[1] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب لعربي العصر العباسي الأول،_دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 16، د- ت، ص: 465.

[2] - المرجع نفسه، ص: 468.

وسعة الثقافة، ومرونة النَّثر ويُسر تشكيله، فحبروا كلامهم وأجادوه واعتنوا به فكانت رسائلهم قطعا موشاة بالإبداع والحسن.

مثال ذلك: رسائل الشاعر أبي العتاهية في هجاء الفضل بن معن بن زائدة ؛ والتي احتوت النثر والشعر معا، والتي يقول فيها:" أما بعدُ، فإنيّ تَوسَّلت في طلبِ نائِلكَ بأسبابِ الأمل، وذرائعِ الحَمدِ فِرارا من الفقرِ، ورجاءً للغِنَى، فازددتُ بهما بعدا مِمَّا فيهِ تَقربتُ، وقربا مما فيه تبعدتُ. وقد قسمت اللائمة بيني وبينك ، لأنِّي أخطأت في سؤالك وأخطأت في منعي... "[1].

ومن الرسائل الإخوانية نذكر أيضا: ما كتبه ابن المعتز إلى الوزير" عبيد الله بن سليمان" يهنئه يقول:" الحمد لله على ما أمتن به على الوزير– أعزه الله– من جميل السلامة، وحسن الإياب، حمدا مستمدا من مزيده، إخلاصا مستدعيا لقبوله، وبارك الله له في قدومه ومسيره، وفي جميع أموره، وجعل له منه وافية على نعمه وأبقاه لملك يحرسه ومومل ينعشه وعاثر يرفعه، وحفظ له ما خوله، كما حفظ له ما استرعاه، ووفقه فيما طوقه، وزاده كما منه".

وقد تميزت الرسالة بمواصفات تمثلت في تعدد أغراض الكتابة، وموضوعاتها بتعدد أعمال الدواوين ودقة المعاني واستقصاء جميع جزيئاتها، وترتيب الأفكار ترتيبا منطقيا، والغلو في الإطناب والإيجاز ، وسهولة العبارة وانتقاء ألفاظها وشيوع السمع القصير والولع بالمحسنات البديعية والطباق، والتوجه بضرب الأمثال، وتضمين الأحاديث النبوية، والاقتباس من كلام البلغاء أو شعر حكمي، وزيادة أنواع البدء والختام في الرسائل، من إطالة التحميدات وزيادة ذكر الألقاب والدعاء للملوك والأمراء.

أما أشهر كتابها فأول كاتب لمع اسمه في مطالع العصر **عمارة بن حمزة** كاتب السفاح والمنصور ولحكمته وذكاه السياسي ولاه المنصور كور دجلة والأهواز وفارس، ومن كتاب المنصور

[1] المرجع نفسه ، ص297

كذلك مسعدة بن سعد بن صول، ويوسف بن صبيح وجبل بن يزيد، وفي عهد الرشيد عرف يحي البرمكي وابنه جعفر، وكذلك عرف ابن المقفع والجاحظ وغيرهم كثير.

الترسل في المغرب والاندلس

1- الرسالة الديوانية:

سرت عدوى الكتابة في المشرق إلى أختها في بلاد الأندلس، " بل راح الأندلسيون يبالغون في الصنعة ويمعنون في الخيالات وضروبها، وأتوا بكل غريب في ذلك، ومع ذلك فلم تفقد كتاباتهم كل جمالها ورونقها إلا في آخر أيام العرب في الأندلس"[1]، وبذلك تأسست صورة الرسالة الديوانية في الأندلس على أساس أنها البلاغة اللغوية في صنعة متقنة، إضافة إلى جودة الخط ما جعل نظيرتها تكون في مجال التهميش.

وحتى حينما كانت الأندلس تحت سيطرة ملوك الطوائف بقيت للرسالة نشاطها الكبير خاصة يبعدها عن مواقع القرار السياسي " منذ أن قامت دولتا المرابطين والموحدين على أرض المغرب الأقصى في القرنين الخامس والسادس من الهجرة اتخذ حكامها الكتاب لمعاونتهم ومساعدتهم..... خاصة بعد أن سيطر المرابطون على الأندلس واحتاجت الدولة المترامية الأطراف إلى من يحرر الرسائل المتنوعة على لسان أمير المسلمين إلى عمال دولته... وحشد خلفاء الموحدين في بلاطهم أقطاب الكتاب المجيدين ليكونوا لسانا للخليفة الموحدي وترجمانا له في مخاطبة الولاة والقبائل والكافة سواء بالمغرب أو الأندلس "[2]. فعرفت الازدهار خاصة " منذ عهد تاشفين أمير دولة المرابطين واستدعائه أبا بكر بن قصيرة رئيس ديوان المعتمد

---

[1] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب لعربي العصر العباسي الأول،_دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 16، د- ت، ص: 465، ص: 137

[2] - حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1980، ص: 113.

بن عباد وتكليفه برئاسة ديوانه في مراكش عاصمته، وكان آية في البيان والبلاغة، فأرسى في الديوان المراكشي تقاليد الكتابة الديوانية الأندلسية "[1].

ولعب إقليم الأندلس التابع للحكم المغربي **(المرابطين والموحدين)** دورا كبيرا في تزويد عاصمة السلطة بالمغرب بطائفة كبيرة من الكتاب، حتى " كثر كتاب الأندلس في بلاط أمير المسلمين **علي بن يوسف بن تاشفين** حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك "[2]، واستخدم **الخليفة عبد المؤمن بن علي الندرومي** للكتابة **أبا القاسم عبد الرحمن القالمي** من أهل مدينة بجاية وكان من نبهاء الكتاب و **أبا محمد عبد الله بن جبل** من أهل مدينة وهران و **أبا علي الأشيري** من أهل تلمسان.

ويرى الدارسون طغيان الرسالة الديوانية ذات البعد السياسي وتسمى الرسائل السلطانية[3] وغلبت على الرسالة الاخوانية ذات البعد الأدبي هو من أهم ألوانها في هذه الفترة: رسائل التولية والتعيين، ورسائل التوجيهات والوصايا والأوامر الإدارية المختلفة إلى جانب التبصير بشؤون التنظيم الداخلي "[4] ورسائل العهود والتولية ورسائل المديح والشكر.

■- **رسائل العطف والتشريف:**

وهي رسائل كسب التأييد وقياس القابلية عند الحكام يلجئون إليها ويخاطبون فيها الرعية وفئات الشعب تأليفا للقلوب ومراجعتهم في مصالح الدولة والمشورة.

■- **رسائل الاعتذار والاستعطاف:** كرسالة الشاعر ابن زيدون لابن جهور بعد سجنه يستسمحه العفو.

---

[1] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات،ـدار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، د- ت، ص: 490.

[2] - عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، القاهرة، مصر، 1949، ص: 173.

[3] - محمد مسعود جبران – الرسائل المزاوجة في النثر الأدبي المغربي والأندلسي ، ندوة التراث المغربي والأندلسي القراءة والتوثيق، 1991، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة عبد الملك السعدي بتطوان. المغرب، ص: 441.

[4] - فايز القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص: 111.

2- الرسالة الاخوانية:

أما الرسالة الاخوانية [*] فقد لقيت في المغرب احتفاء كبيرا من الكتاب على عكس ما كان حالها في بداياتها في الأندلس «غير واضحة الصورة إلا في أواخر هذا العصر لأن صورة الكتابة الديوانية كانت قد غلبت عليها "[1]، ويعود سبب هذا الاحتفاء إلى الاستقرار العلمي والتشجيع الثقافي الذي حظي به الكتاب ووفرة عددهم في المغرب.

وعرفت الرسالة موضوعات كثيرة لعل أبرزها:

■- **رسائل العتاب:**

كرسالة الحكم بن عبد الرحمن الناصر بأمر أبيه إلى الفقيه أبي إبراهيم يعانيه فيها على تخلفه عن حضور حفل رسمي دعي إليه وقد يتجاوز العتاب إلى الهجاء والتقريع واللوم.

■- رسائل المودة والصداقة ومن جميل الرسائل الأهلية المعبرة عن المودة الصادقة ما تحمله كلمات رسالة القاضي موسى بن عمران لابنه يعظه.

ونجد من الإخوانيات الاعتذار والشكوى والاستعطاف والتهنئة بالفتح والاستصراخ والاستنجاد وغيرها، وقد أوصل تعدادها مؤلف " **صبح الأعشى** " إلى سبعة عشر نوعا هي التهاني والتعازي والتهادي والشفاعات والتشوق والاستزادة واختطاب المودة وخطبة السناء والاستعطاف والاعتذار والشكوى واستماحة الحوائج والشكر والعتاب والسؤال عن حال المريض والأخبار والمداعبة وبعض هذه الألوان يندرج تحته عن عواطفه أضرب كثيرة ، فالتهاني يندرج تحتها أحدى عشر ضربا منها التهنئة بالولايات وبالقدوم من الحج أو السفر وبالمواسم والأعياد والزواج وغير ذلك[2].

---

[*] - ويطلق عليها أهل المغرب الرسائل الأهلية وتسمى كذلك الرسائل الوجدانية ويقصدون بها الرسائل التي يدبجها المبدعون إلى أهليهم أو من يماثلهم في المنزلة من الإخوان والنظراء في غرض من الأغراض الاجتماعية أو الثقافية يجلو عواطفهم وأحاسيسهم".

محمد مسعود جران، الرسائل المزاوجة في النار الأدبي المغربي والأندلسي،" ص 441.

[1] - إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 2، 1969، ص: 326.

[2] - أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، ص: 578.

■- **الرسالة الهزلية:** من مثل رسالة ابن زيدون التي وجهها لابن عبدوس، فيها سخرية ووصف بالجهل، أوردها على لسان ولادة .

- **الخصائص:**

بعد الاطلاع على طبيعة تطور التعامل مع الرسالة في المغرب والأندلس ومن خلال مضمون النماذج المقدمة يمكن استخلاص الملاحظات التالية:

- لم يستطع المغاربة والأندلسيون التخلص من تغليب نزعة اللغة الراقية في رسائلهم لذلك جاءت رسائلهم الديوانية بليغة وغنية خالصة.
- أن أغلب كتاب الرسائل فيها من الشعراء والمبدعين إذ لم تكن اللغة عندهم إنتاج لغوي فحسب بل كانت لغة المشاعر والجمال مهما كان موضوع الرسالة ونوعها حتى عدت رسائل الاعتذار من بدائع التعبير.
- أغلب الرسائل أصابها الطول المفحش خاصة وأن الأندلس والمغرب كثيري الاستعمال للرقع والورق وبذلك عرفت لغتهم الإسهاب التعبيري و التعبير إلا في رسائل الشكر و المديح فهي مركزة مختصرة.
- كما امتلأت الرسائل الأندلسية بالحكم والأمثال والأشعار والاقتباس من القرآن الكريم، وحديث النبي وذكر الحوادث والأيام المشهورة والمفاخر المأثورة، والمناظرات بين أنواع الحيوان وصنوف الجماد والقصص الخيالي، فضلا عن الترادف وشيوع الإطناب في كتاباتهم"[1]،

[1] - عبد الهادي عبد النبي علي أبو علي، الأدب العربي في ظلال الأندلس، ص: 137.

المحاضرة التاسعة : الرسائل السياسية في المشرق والمغرب والأندلس

1- تعريف الرسائل السياسية :

يراد بالرسائل السياسية الكتابات التي تكون بين الملوك والحكام والأمراء والولاة والقواد، وبمعنى آخر الرسائل ذات الطابع الرسمي التي دعيت في العصور المتأخرة بالسلطانيات، ويندرج ضمنها في بعض الأحيان ما يوجهه بعض العامة أو الخاصة إلى تلك الطبقة، وموضوعات تلك الكتب تتصل بسياسة هؤلاء وأنظمة حكمهم، وتصريف شؤون الدولة وحكامها، وتنظيم العلاقات مع الدول المجاورة، ولأهمية هذه الرسائل السياسية فقد أصبح لها ديوان خاص بها في وقت مبكر [1].

2- الرسائل السياسية في المشرق :

لم يعرف هذا النوع من الرسائل في واقع الحياة العربية في **جاهليتها** إذ كان النظام قبليا وبعد التنظيم السياسي الذي عرفه في كلف النظام الاسلامي بدأ التعرف على الرسالة السياسية.

واكب الميلاد الحقيقي للرسائل السياسية عصر **البعثة المحمدية**، فكانت الحاجة ملحة إلى قيام هذا اللون من الرسائل بواجبه في نشر الإسلام ودعوة الملوك والأمراء ورؤساء القبائل إلى الدخول في الدين الجديد، أو اتفاقات المهادنة أو إبرام المعاهدات بين النبي صلى الله عليه وسلم ورؤساء القبائل والملوك والأمراء في شبه الجزيرة العربية وخارجها، وغير ذلك من الأمور التي تتصل بشئون الدين والدولة الجديدة.

---

[1] حسين بيوض، الرسائل السياسية في العصر العباسي الأول، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق، سوريا ، 1996م، ص: 05.

وإذا كانت الرسائل السياسية هي أول ألوان الرسائل وجوداً فهي أكثرها سرعة في الانتشار والتطور أيضا. ففي عصر صدر الإسلام ظهر استيعاب الرسائل لمعاني الدين الحنيف، واتسعت أغراضها وكثر كتابها، ووجدنا الخلفاء الراشدين يكتبون إلى أمراء المجند في ساحات القتال وإلى القضاة والعمال في الأقاليم المختلفة، وكذلك إلى ملوك وحكام الدول المجاورة يدعونهم إلى الدخول في الإسلام أو دفع الجزية[1]. ومن أمثلة ذلك رسالته إلى النجاشي يقول فيها: « بِسْمِ اِللَّهِ اِلرَّحْمَٰنِ اِلرَّحِيمِ ، من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك، والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فأقبل نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى "[2].

وفي رسالته إلى هرقل يقول صلى الله عليه وسلم: « بِسْمِ اِللَّهِ اِلرَّحْمَٰنِ اِلرَّحِيمِ من محمد عبد الله و رسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإنني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين»[3]، ورسالته إلى كسرى وغيرهم، فكانت رسائل الدعوة النبوية إلى الملوك والأمراء أظهر ما وجد في العهد النبوي من نثر سياسي مكتوب.

أما عهد الصديق فعرف كثرة الاختلاف والحرب والتعهدات ما جعلهم يكثرون من الكتابة، إضافة إلى رسالة عهد الولاية، التي سنها أبو بكر الصديق رضي الله عنه

---

[1] – نبيل خالد رباح أبو علي، نقد النثر في تراث العرب النقدي حتى نهاية العصر العباسي 656 هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993، ص: 269.

[2] - الطبري، تاريخ الأمم والملوك تاريخ الطبري، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمان، الأردن، د– ط، د– ت، ص: 602.

[3] - مي يوسف خليف : النثر العربي بين صدر الإسلام والعصر الاموي، دار قماء للطباعة والنشر، ص: 32.

لخليفته عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ونذكر هنا أن كاتب أبي بكر الصديق كان عثمان بن عفان رضي علهما. أما في خلافة عمر التي كان فيها تنظيم الدواوين، عرفت تعدد الكتاب ونشاط الخليفة في تولي أمور الكتابة، فكثرت مكاتباته إلى قادته وولاته وعماله وقضاته في كل الأصقاع، خاصة بعد امتداد الرقعة الجغرافية للدولة، وصعوبة أمر التواصل المباشر، ويرى الباحثون أن الكتابة العمرية لم تتغير عما كانت عليه قبله. فالخليفة من يتولى إملاء الرسالة بنفسه، وزاد عليهما عمر في تدوينها كذلك، وخاصة في وثائق العهود كما فعل في الوثيقة العمرية مع سكان بيت المقدس في فلسطين.

وتتفتح الفتنة في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وتشتد، فتكثر الحاجة إلى الرسائل والمكاتبات بصورة ملحوظة [1]، فأخذت في الإطالة، وروى الطبري أن عليا رضي عنه كتب إلى أهل الكوفة حين خرج في إثر السيدة عائشة رضي الله عنه ومما جاء فيها قوله: " إني اخترتكم على الأمصار وفزعت إليكم لما حدث، فكونوا لدين الله أعوانا وأنصارا، وأيدونا وانهضوا إلينا، فالإصلاح ما نريد، لتعود الأمة إخوانا، ومن أحب ذلك وآثره، ومن أبغض ذلك فقد أبغض الحق وغمصه " [2].

ويرى الدارسون أنَّ الرسالة في عهد الخلافة الراشدة لم تحدْ عن الطريق الذي رسمه الرسول – صلّى الله عليه وسلّم – منذ بداية تعاطيه لكتابة مراسلاته الديوانية أو السياسية كذلك كما رأينا في خصائصها في مجالها الديواني.

ومنذ بداية **العصر الأموي** مع استقرار أمر الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان عمد إلى إنشاء " ديوانين هما ديوان الرسائل وديوان الخاتم، وفيه كانت تختم الرسائل الصادرة عنه، وظل ديوان الخراج يكتب في الشام ومصر بالرومية، وفي العراق بالفارسية إلى عصر عبد الملك بن مروان،

---

[1] - ينظر: حسين نصار نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، ص: 64.

[2] - الطبري، تاريخ الطبري، ص: 814.

إذ نراه يطلب إلى سليمان بن سعد الخُشني كاتبه على ديوان الرسائل أن يترجم ديوان الشام الرومي، وفي الوقت نفسه يطلب الحجاج إلى صالح بن عبد الرحمن كاتبه هو الآخر على ديوان الرسائل أن يترجم ديوان العراق "[1] وكان ذلك من أهم عوامل ازدهار الكتابة حينها.

وهكذا عرفت المراسلات السياسية ذروة ازدهارها فاتخذت الخلافة الأموية من الكتابة فيها عادة تواصلية فاختار خلفاؤها لهذه المهمة أكفأ وأذكى وأوفى الكتاب وأصدقهم، وكثيرا ما كان يطمح كتاب الولايات إلى أن يلفتوا ببلاغتهم، من يكتبون إليهم من الخلفاء حتى يعينوهم في دواوينهم، واشتهر الحجاج بأنه كان كثير التعهد لرسائل قواده، حتى إذا لفتته رسالة ببلاغتها سأل عن كاتبها وطلب مثوله بين يديه، وكان إذا أعجبه كاتب وملأ نفسه ربما أرسل به إلى عبد الملك بن مروان ليسلكه بين كتابه على نحو ما صنع محمد بن يزيد الأنصاري"[2].

ويذكر المؤرخون أن كتابة الرسالة عرف في هذا العصر منعرجا هاما جعلها تصنف الى طورين وهذا المنعرج يتمثل في خلافة الوليد بن عبد الملك الذي عرف بحبه الشديد إلى التأنق في كل شيء إذ تصادفنا رسائل كان أصحابها " يعنون بالطوامير والقراطيس التي كانوا يكتبون فيها، كما كانوا يعنون بنفس كتابهم وخطوطهم وأن الوليد أول من كتب من الخلفاء بالطوامير، وأنه أمر بأن تعظم كتبه ويجلل الخط الذي تكتب به، وكان يقول: تكون كتبي وكتب الناس إلي خلاف كتب الناس بعضهم إلى بعض "[3] ففرض التأنق على كتاب الرسائل في دواوينه وبات كل ولاته يهادونه بمن يرون في عمله جمال وبلاغة.

وقد اتسمت الرسالة في ذلك العصر بجملة من الخصائص طبعت منتوج كتابها بلونيها الديوانية والاخوانية تمثلت في ما يلي:

---

[1] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 20، د – ت، ص: 465.

[2] - المرجع نفسه، ص: 466.

[3] - المرجع السابق، ص: 470.

- بعد ما حدث من خلاف وجدال وقتال قبل تأسس العصر وحتى خلاله وأصبح الناس بحاجة إلى شرح وتفصيل ولاسيما وأنهم خالطوا الأعاجم، ولاسيما أن الأعاجم أنفسهم أخذوا بالدين الجديد كما أخذوا باللغة العربية، وهكذا من امتداد سلطان العرب وامتزاجهم بغيرهم من الأمم الراقية في الحضارة، ومن أخذهم بقسط وافر من التحضر " [1].
- ويفعل ذلك الاهتمام والتأنق والتجريب حدث التحول فن الرسالة من ممارسة عفوية اتباعية إلى الانتقال إلى الإبداع الواعي بهندسة أشكالها وتحديد ملامحها ومستلزماتها فباتت لا تظهر إلاّ بمقدمات متعددة تتناسب وموضوعها العام وخاتمة تجسد الهدف المتوخى إضافة إلى مضمونها الذي يتناسب والمرسل إليه حجما وبلاغة وأساليب.

ومع بداية **العصر العباسي** نشطت الرسائل السياسية نشاطا واسعا وقد ساعد على ذلك الكثير من العوامل التي منها: تعقد نظم الحكم السياسية والإدارية للدولة العباسية وكثرة الدواوين وتنوعها، وكثرة المؤهلين من الكتاب في مختلف الأقاليم الإسلامية، والاهتمام بالكتاب والاعتماد عليهم في تسيير أمور الدولة وتوليهم أرقى المناصب وغير ذلك من العوامل، وتعقد الحياة الثقافية وتشعب مشاربها، خاصة بعد أن انفتحت مكنونات ودرر خزائن المعرفة الفارسية والرومية ومن ورائها الهندية واليونانية وجميع منتوج الحضارات الإنسانية حينها في الساحة الثقافية العربية، وكيف استفاد علماؤها من التعامل معها، زاد على ذلك اتساع الرقعة الجغرافية التي انفتحت عليها بسطت الخلافة العباسية فيها سلطتها، وكان للثقافة الفارسية خاصة وكُتَابها ممن اسلموا، التأثيرُ البالغ على الرسالة، فقد تشبعت على أيديهم من أساليبها واستفادت من تجربة أقلامهم هذا وإن كان " هذا التأثير بدأ منذ عبد الحميد الكاتب، ولكنه لم يبلغ أشده إلا في هذا العصر، إذ اتسع

[1] - حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ص: 324.

نقل الآداب الفارسية وكل ما أوثر عن ملوك فارس ووزرائهم من عهود ووصايا، ورسائل إلى العمال والولاة، مما سالت مادته الغزيرة في كتابات الكاتب العباسي " [1]

ومن الرسائل السياسية: رسائل العهود والمبايعات ورسائل الفتوح والتبشير بها، ورسائل الأمان، ورسائل الخلفاء إلى الولاة والحكام في تصريف شئون الدولة، ورسائل الإصلاح، ورسائل الإنذار وطلب الطاعة، أو التهديد والوعيد، أو طلب الهدنة والمصالحة، وغير ذلك من الأغراض المتصلة بجوانب السياسة الداخلية والخارجية[2].

3-الرسائل السياسية في الأندلس :

وهي الرسائل التي تكتب لمعالجة موضوعات سياسية أو فكرية مختلفة فرضتها طبيعة الأحداث السياسية التي شهدتها الأندلس ، والتي كانت " صدى للصراعات السياسية والاضطرابات والفتن الداخلية ، إلى جانب الحركات الفكرية التي ظهرت في الأندلس آنذاك ، لذا فقد كانت الرسائل السياسية ترسم سياسة الدولة وتوضح موقفها من تلك الأحداث " .

تعددت ألوان الرسائل السياسية وتنوعت أغراضها ، ومن ذلك رسائل الزجر والاستصلاح وتهديد الخارجين عن الحكم ، وهي تلك التي تصدر عن ديوان الرسائل في حالة حدوث اضطرابات في الأندلس. ومن هذه الرسائل نذكر ماكتبه عبد الرحمان الداخل إلى رجل خارج عليه " سليمان الأعرابي بدعوة بالرجوع عن غروره، يقول:" أما بعد ، فدعني من معاريض المعادير والتعسف عن جادة الطريق ، لتمدن بدا إلى الطاعة ، والاعتصام بحبل الجماعة ، أو لألقين بنابها على رضف المصيبة نكالا بما قدمت يداك ، وما الله بظالم للعبيد ".

---

[1] - شوقي ضيف، **العصر العباسي الأول**، ص: 467.

[2] – المرجع نفسه ، ص: 270-271.

4- الرسائل السياسية في المغرب :

كانت الرسائل السياسية في المغرب وسيلة إعلامية في تثبيت دعائم حكم الأمراء والسادة والخلفاء ، وهي بذلك أقدم وثيقة يمكن الاعتماد عليها لاستجلاء الحياة السياسية لهذه الفترة .

المحاضرة العاشرة : الرسائل الأدبية في المشرق والمغرب والأندلس

3- الرسائل الأدبية:

أ- تعريفها:

الرسائل الأدبية هي فن من الفنون النثرية القديمة يكتبها الأدباء انتصارا لرأي معين أو دفاعا عن قضية معينة، وكان بدءُ الرسائل الأدبية عموما مقدمة لفن المقال الأدبي النثري قديما، مثل رسائل الجاحظ، وأبي العلاء المعري.

وهي الرسالة التي يجعلها الكاتب معرضاً لإظهار مهارته الفنية، ويعالج فيها أغراضا عدة ذات صلة وثيقة بالأدب والعواطف الإنسانية، كالإخوانيات والمناظرات ورسائل الدعابة والهزل [1].

مثال ذلك: رسالة ابن زيدون إلى حاكم قرطبة (أبو الحزم ابن جهْور) المعروفة بـ: (الرسالة الجدية) التي يستعطفه فيها الخروج من غياهب السجن والنسيان.

2- أنواع الرسائل الأدبية:

2-1- الرسائل الوصفية:

وهي التي تكتب لتعالج موضوعات عديدة، كالطبيعة بمظاهرها المختلفة من رياض وأزهار، وتصف البيئة البحرية بما فيها من أنهار وسفن، والبيئة الحربية بما فيها من أدوات الحرب والقتال، كما تتسع لتشمل موضوعات أخرى كالقلم والكتابة والليل والفراق...

2-2- رسائل المفاضلات والمفاخرات: وهي تلك الرسائل الأدبية التي تقوم على أساس التفاخر والمناظرة والجدل والنقاش والاحتجاج بين الورد والأزهار، والشعوب والجماعات، كل يبدي محاسنه

[1] - فوزي عيسى، الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002، ص: 07.

ويفخر بصفاته، وتكشف هذه الرسائل على براعة الكتاب في الاحتجاج والجدل، ومنها المفاخرات بين الأزهار والورود، المفاخرة بين السيف والقلم، فضائل البلدان.

2-3- رسائل النقد الأدبي: منها: رسالة التوابع و الزوابع "لابن شهيد (ت 426هـ)، وكان الباعث على إنشائها محاولة ابن شهيد المنافحة عن أدبه وإثبات تفوقه وجدارته في النظم والنثر والنيل من خصومه الذي حملوا عليه بشدة، ورموه بالاعتماد على الموهبة وحدها دون النظر في الكتب أو الأخذ عن العلماء [1].

- رسائل الفكاهة:

وهي تلك الرسائل التي تعالج موضوعا جديا بمنوال ساخر، وذلك بالمبالغة والتهويل في التصوير والعرض، فقد كان لتلك الرسائل والمقامات الهزلية التي ابتدعها عدد من كتاب المشارقة من أمثال: سهل بن هارون، والجاحظ، وبديع الزمان الهمذاني وغيرهم والتي انتقلت إلى الأندلس فيما بعد ذلك أثر كبير في ازدهار هذا الفن في الأندلس وتندرج رسائل الفكاهة في الأندلس في نوعين مترابطين:

أولهما **السخرية التهكمية**، وهي أرقى أنواع الفكاهة لما تحتاجه من ذكاء حاد وخفة ومكر وبراعة وقدرة على الحيلة والخيال، فهي توجه إلى شخص أو أمر ما لتحوله إلى أضحوكة من خلال ترصد المثالب ونفي المحاسن، وتصل إلى حد الإقناع والهجاء، وهي بهذا تقوم على السخرية والتهكم والاستهزاء، كرسالة ابن زيدون التي عرفت بالرسالة الهزلية.

وأما النوع الثاني فهو **السخرية الفكاهية:** وهي أخف ألوان الفكاهة، إذ تقوم على وصف لشيء مضحك، كما هو في ذاته بقصد التسلية والترفيه، إنها سخرية بريئة قصدها التندر والإضحاك .

ومنها (الرسالة الهزلية) التي وجهها لابن عبدوس، والتي ربما كانت إحدى عوامل دخوله السجن وفيها سخرية من ابن عبدوس وجهله، إذ جعل منه أضحوكة على كل لسان والغريب أنّه

[1] - فوزي عيسى، الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي، ص: 09.

أوردها على لسان ولادة حبيبته التي هجرته مستعملا أسلوبا بليغا هيمن عليه البديع من سجع وغيره من الأساليب الأخرى، وهذا بعض ما جاء فيها:" أما بعد، أيها المصاب بعقله المورط بجهله، البيّن سقطه، الفاحش غلطه، العاثر في ذيل اغتراره، الأعمى عن شمس نهاره، الساقط الذباب على الشراب، المتهافت تهافت الفَرَاش في الشهاب....".

المحاضرة الحادية عشر : أدب الرحلة في المشرق

أولاً- ماهية الرحلة:

1- التعريف اللغوي:

ورد تعريف الرحلة في معجم لسان العرب لابن منظور في قوله:" رحل الرجل، إذا سار، ورحُل رحُولٌ، وقوْم رُحَّل، أي يرتحلون كثيرا، ورجال رحّال: عالم بذلك ومجيد له، والترحل والارتحال: الانتقال، والرحلة: اسم للارتحال، وقال بعضهم: الرحلة: الارتحال، والرُّحلة بالضم: الوجه الذي تأخذ فيه وتريده".

وورد في القاموس المحيط للفيروز آبادي: ارتحل البعير: سار ومضى، والقوم عن المكان: انتقلوا، كترحلوا، والاسم: الرِّحلة والرُّحلة بالضم والكسر، أو بالكسر: الارتحال، وبالضم: الوجه الذي تقْصد، والسفرة الواحدة".

كما أشار إلى هذا المعنى القرآن الكريم في رحلَتي الشتاء والصيف اللتين كانت بين قريش تقوم بهما من أجل التجارة: (لإيلاَف قريشٍ، إيلاَفهِم رِحلَةَ الشتاء والصيف). [قريش:2.1]

2- التعريف الاصطلاحي:

يقول زكي حسن: " الرحلات بمثابة مصادر شاملة سجلت فيها جوانب متعددة فيما يخص الجوانب الحضارية على امتداد أزمنة متتالية، فالرحلة تتطلب اتساع المعارف وتنوعها، لأنها تستخدم الجغرافيا، وتستند إلى التاريخ عند التعرض لوصف المسالك والمدن والمعالم وبدايات الأمور، بل وصد الظواهر الاجتماعية غير المألوفة لديهم، وكذلك الاقتصادية، ويتبعها السياسية بنسب متفاوتة وعرض ذلك بزي الأدب وطابعه".

ثانيا- أدب الرحلة:

1- ماهية الرحلة:

يعتبر أدب الرحلة واحدًا من أجمل أنواع الآداب، إذ إنه يعكس ويوثق كل ما صادف الرحالة عبر رحلاته كلها، حيث إن الكاتب أو الرحالة ينقل كل ما رآه خلال رحلاته ويصف الأماكن التي زارها كلها ويصف عادت الشعوب وأهلها وينقل كل المواقف التي تعرض لها خلال رحلته أو رحلاته التي قام بها خلال حياته.

2- أهمية الرحلة:

*للرحلة أهمية كبيرة أساسا في كون: الإنسان يرى خلالها عجائب الأمصار ومحاسن الآثار فهي تزوده بالمعلومات المهمة والتجارب المختلفة، وفيها فوائد جمة لا تعد ولا تحصى ومن أهمها ما ذكرت في الأبيات الآتية للإمام الشافعي رحمه الله حيث يقول:

تغرب عن الأوطان في طلب العلى وسافر ففي الأسفار خمس فوائدِ

تفرُّج هَـــــمٍّ واكتساب معيشــةٍ علـــمٌ، وآدابٌ، وصحبةُ ماجد

3- القيمة الأدبية للرحلة:

*تتجلى القيمة الأدبية للرحلة في:" ما تعرضه من مادة ترتفع بها إلى عالم الأدب، وترقى بها إلى عالم الخيال الفني".

* إنّ الرّحلات من أهم الفنون الأدبية بحيث إنّها تحوي بعض المعلومات المهمة التي لا يمكن الاستغناء عنها لأحد من الأدباء والمؤرخين والجغرافيين وغيرهم، فمطالعتها لازمة لكل من يودّ الكتابة أو الدراسة عن إحدى الفترات التي كتبت فيها تلك الرّحلات، فإن أدب الرحلات العربية

يمثل جوانب مهمة من جوانب الحياة العربية والإسلامية في مختلف نواحيها سواء في ذلك الجانب السياسي والاجتماعي والديني والفكري وأيضا الأدبي، وقد برز كثير من الرحالة العرب وقاموا برحلات طويلة وألفوا كثيرا من الكتب صوروا فيها ما شاهدوه في هذه الرحلات وصوروا مشاعرهم وآراءهم وكانت هذه الكتب وثائق هامة تصور الحياة في تلك الأزمان.

4- خصائص الكتابة الرحلية:

تتميز الكتابة الرحلية بمميزات عديدة نذكر منها:

- التنوع في الأسلوب بين السرد القصصي والحوار والوصف.
- الاعتماد على السرد المشوق لما يقدمه من متعة ذهبية كبرى.
- غنى الموضوعات.
- الابتعاد عن اللهو والتكلف اللفظي.
- إيثار التعبير السهل.
- أدب الرحلة يحفل بكثير من " الأساطير والخرافات، وبعض المحسنات البلاغية، وجمال اللفظ، وحسن التعبير، وارتقاء الوصف، وبلوغه حدا كبيرا من الدقة، علاوة على ما يستعين به – أحيانا– من أسلوب قصصي، سلس، مشرق، وهذا هو الذي يجعل بعض الدارسين يدخلون أدبيات الرحلات ضمن فنون الأدب العربي، فمثلا نرى الرحالة الكبير ابن جبير الأندلسي يستخدم بعض الأحيان نوعا من السجع في نصوص رحلته كما هو يتحدث عن أهل مدينة السلام بغداد حيث يقول: "وأما أهلها فلا تكاد تلقى منهم إلا من يتصنع بالتواضع رياء، ويذهب بنفسه عجبًا وكبرياء. يزدرون الغرباء، ويظهرون لمن دونهم الأنفة والإباء، ويستصغرون عمن سواهم الأحاديث والأنباء".

- إن أدب الرحلة لم يقترب من فن القصة فحسب، بل اشتمل على جميع الفنون الأدبية. وكثيرا ما يلجأ الرحالة إلى الاستشهاد بأبيات شعرية تبرز أدبيته، سواء كانت من نظم الرحالة نفسه وهذا يثبت قدرته الشعرية والنثرية معا، وأحيانا أخرى يستعين بأبيات غيره، مما يؤكد سعة اطلاعه ودقة معلوماته. وقد كان بعض الرحالة شعراء فدفعه ذلك لقوله في المواقف المختلفة أثناء رحلتهم، ولا سيما عند فراقهم لموطنهم، وتوديعهم للأهل والأصحاب، وعند ملاقاة العلماء أو الحنين للوطن وربوعه، أو عند الاقتراب من مكة المكرمة أو المدينة المنورة. يقول فؤاد قنديل: الرحلات مصدر فريد لكثير من النصوص الأدبية شعرا كانت أم نثرا لانفرادها برواية الكثير من النصوص، فالرحالة حرصوا على أن تضم رحلاتهم النوادر، فأدرجوا فيها كثيرا من قصائدهم الشعرية ورسائلهم النثرية مما له ارتباط بظروف الرحلة، وهذا الأمر جعل الرحلات ذات أهمية أدبية خاصة، فأكثر الرحالة لم تعرف لهم أشعارا أو كتابات إلا من خلال ما دونوه في رحلاتهم، لذا عدت بمثابة دواوين لأصحابها، ومجموعات ضمت ألوانا من إنتاج عصرهم وأدباءه.
- إن الرحالة يستعين بالشعر ليعبر عما يختلج في نفسه من مشاعر حركتها مشاهداته وملاحظاته، ومن هؤلاء الرحالة الأديب البارع ابن جبير الأندلسي الذي نقل أبياتا كثيرة في رحلته فمثلا تحدث عن خطبة صدر الدين رئيس الشافعية الأصبهاني ونقل في رحلته شعره التالي وهو يشير الروضة:

هاتيك روضة تفوح نسيما صلوا عليه وسلموا تسليما

المحاضرة الثانية عشر : أدب الرحلة في المشرق والأندلس والمغرب

تعدُّ الرحلات من ألصق الفنون بحياة الأفراد والأمم، وهو فن من فنون القول العربي يعرض في مضمونه إلى ناحية أو أخرى من نواحي الحياة، يقول حسني محمود حسين: " إن نمط الرحلات يتعرض إلى جميع نواحي الحياة أو يكاد، إذ تتوفر فيه مادة وفيرة مما يهم المؤرخ والجغرافي وعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الآداب والأديان والأساطير. فالرحلات منابع ثرة لمختلف العلوم، وهي بمجموعها سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مر العصور [1].

وهكذا كان أدب الرحلة في الأندلس والمغرب، تصويرا للحضارة، بما تحوي من طريف الأخبار، ونادر الحكايات وعجائب المخلوقات وعادات الأمم وأخلاقهم، وبما فيها من فوائد تاريخية، وجغرافية، ونمو للثروة الأدبية، ووصف للحوادث والبلدان والأصقاع،

فرحلة ابن بطوطة أفادت الجغرافية الطبيعية والبشرية والعادات والتقاليد الاجتماعية، والمأثورات الشعبية، وليس أدل على ذلك من قول **ابن جزي** ": " ولا يخفى على ذي عقل أن هذا الشيخ هو رحال العصر ومن قال رحال هذه الملة لم يبعد [2].

– **رحلة العذري** [*]: أحمد بن عمر العُذري الدلائي (ت 478)، صاحب كتاب " ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك"، نشر الباحث عبد

---

[1] – حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس الطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط2، 1983، من 06.

[2] – نوال عبد الرحمن الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2008 ، الأردن، ص: 52.

[*] – الحافظ الراوية أبو العباس احمد بن عمر بن أنس بن دلهاث بن أنس بن فلذان بن عمران بن منيب ابن زغيبة بن قطبة الذريّ، ويعرف بـ: ابن الدلائي، نسبة إلى دلاية– بفتح الدال المهملة– قال الحميري: " قرية بالأندلس من عمل المرية " (393هـ– 478 هـ).

العزيز الأهواني قطعا باقية، وقد بين المحقق في مقدمته أنه في أصله شامل للممالك الإسلامية، والباقي منه قطع عن الأندلس ومصر والشام[1].

4-2- رحلة أبي عبيد البكري الأندلسي (**):

عاش خلال القرن الخامس الهجري، أكبر جغرافي عرفته الأندلس، ويبدو في رحلته جغرافيا واقتصاديا خبيرا - رغم أنه لم يترك الأندلس، وكان يتنقل في مدنها فقط [2]- إذ يبدأ بالوصف والحدود والتاريخ، ثم عادات أهل المكان، وخصائص الناس وطباعهم، كذلك الموارد والمحاصيل والمعادن والصناعات ويخصص فصلا للأنهار: دجلة والفرات، والنيل، وأنهار الأندلس، ويخصص فصلا لموانئ ساحل البحر المتوسط ابتداء من المغرب حتى الشام والأناضول، والأندلس، وهو أثناء ذلك يذكر قيمة كل ميناء ويصف المسالك البحرية إلى جانب البرية.

وخلف لنا البكري مؤلفات مهمة في مجال الجغرافيا المسالك والممالك"، و"معجم ما استعجم"، وقد وصف الإفرنجة والصقالبة والإسبان والخزر والروم....

4-3- رحلة الإدريسي [3]:

" في القرن السادس الهجري، وقد بدأ الإدريسي أسفاره منذ سن مبكرة فزار أماكن لم تكن مألوفة في ذلك العصر، كما أن معرفته الواسعة بالأندلس ومراكش ليست أمرا غريبا، ويبدو من مواضع مختلفة من كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" أنه زار لشبونة وسواحل فرنسا، وإنجلترا، ولأفريقيا الشمالية وآسيا الصغرى، ثم اتصل الإدريسي بروجر الثاني ف

---

[1] - محمد رضوان الداية، **في الأدب الأندلسي**، ص: 269.

[**] أبو عبيد البكري هو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي الأونبي، نسبة إلى بكر بن وائل (1004 م- 404 هـ/1094م- 487هـ) أديب وجغرافي ومؤرخ ونباتي (عالم نبات). وهول أول الجغرافيين المسلمين في الأندلس. قيل إن ملوك الأندلس كانوا يتهادون كتبه.

[2] - كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، ص ص: 29-297.

[3] - أبو عبد الله محمد بن محمد الإدريسي الهاشمي العربي عالم عربي مسلم (ولد عام 1100م (493هـ) وتوفي عام 1166م (559) يعتبر من كبار الجغرافيين في التاريخ ومن مؤسسي علم الجغرافيا الحديثة، كما كتب في الأدب والشعر والديات ودرس الفلسفة والطب والنجوم في قرطبة.

ي صقلية، ثم رجع إلى مسقط رأسه سبتة. وقد رحل الإدريسي لتأدية فريضة الحج إلى بيت الله الحرام، فزار مصر والحجاز ودوّن مشاهداته في رحلته التي حملت عنوانا آخر كتاب" رجار " أو " الكتاب الرجاري " نسبة إلى راعيه الملك رجار ملك صقلية، الذي وضع تحت إشراف الإدريسي مجموعة من العارفين والمتجولين في البلاد النائية، وأمر أن يفرغ له من الفضة الخالصة دائرة مفصلة عظيمة الجرم ضخمة الجسم في وزن أربعمائة رطل بالروي، في كل رطل منها مائة درهم وأثنا عشر درهما، ليصنع منها الإدريسي كرة ينقش عليها المصورون البلدان والأقطار والبحار [1].

4-4)- رحلة أبي حامد الغرناطي[2]:

في القرن السادس الهجري، يمثل إضافة حقيقية للجغرافيين وأدب الرحلات، يقول جمال حمدان: ويجوز أن نعده سندباد بحر وبر معا أو ابن الأندلس، فهو ليس كاتب رحلة، ولا جامع عجائب وغرائب، ولا جغرافياً خالصا بالطبع، بل الثلاثة معا [3] .

وقد سجل أبو حامد الغرناطي كل مشاهداته وخبراته في كتابين هما: " " تحفة الألباب ونخبة الإعجاب"، وكتاب "المُعرب عن بعض عجائب المغرب، بطريقة خرافية غير معقولة، غير أن بعضها اليوم يرى معقولا.

5-4)- ابن جبير:

مؤلف هذه الرحلة أبو الحسين محمد بن جبير الكناني، ولد في بلنسية، وتلقى علومه في مدن شرق الأندلس، واستقر كاتبا عند حاكم غرناطة: أبو سعيد بن عبد المؤمن الموحدي

---

[1] – كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، ص: 318.

[2] – أبو حامد الغرناطي الأندلسي: أبو عبد الله بن عبد الرحيم بن سليمان القيسي (473 هـ – 565هـ – 1080 – 1170م، واحد من مشاهير الرحالة والجغرافيين الأندلسيين، وهو صاحب كتاب " تحفة الألباب ونخبة الإنجاب "، وكتاب " المُعرب عن بعض عجائب المغرب " ، وغيرهما، دوّن فيها مشاهداته في بلاد المغرب والأندلس والشام ومصر، ويحظى ما كتبه عن بلاد روسيا والفولغا والمجر بأهمية بالغة.

[3] – نوال عبد الرحمن الشوابكة، **أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري**، ص ص: 58-59.

وكان لا بن جبير ثلاث رحلات قام بالرحلة الأولى بقصد أداء الفريضة سنة 578هـ، ومكث في رحلته إلى أن عاد سنة 581هـ.

ولما فتح صلاح الدين الأيوبي القدس (رجب 583هـ) رحل ثانية وزار القدس، وهنا صلاح الدين بشعر بقي بعضه، وضم إلى مجموع شعره.

وخرج ثالثة بعد وفاة زوجته، فقصد إلى الديار الحجازية، وحج، وزار، ثم استقر في الإسكندرية التي كانت مستقر كثير من علماء الأندلس، حتى وفاته سنة (614هـ) وابن جبير[1] كاتب ديوان، مترسل، وأديب، شاعر، وفقيه من أهل العلم، وقد جمع الباقي من شعره في مجموع صغير، ورحلة أبن جبير المدونة هي تسجيل لأحداث رحلته الأولى التي سماها: " تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار " [2].

وقد تحدث الجغرافيون، والأدباء عن قيمة هذه الرحلة، وذكروا خصائصها وأسلوب الكاتب فيها؛ وقوّموها أدبيا: فمن الناحية الجغرافية والاجتماعية، فالرحلة تُعد من عُمد العلم الجغرافي، فإن ابن جبير يحتل عن جدارة مكانا صدرا في تاريخ الجغرافية في الأندلس على هذا الأساس، وإن لم تكن مادة كتابه جغرافية صِرفا، بل إن التاريخ والآثار هما الغالبان [3].

وأما الناحية الأدبية فيرى شوقي ضيف أن الرحلة كتبت بلغة سهلة بسيطة ملائمة تماما لموضوعها؛ وطريقته في السرد محببة إلى النفس وهو يصف ما يشاهده وصفا دقيقا [4].

4-5-1- نصوص من رحلة ابن جبير:

قال عند وصفه مدينة دمشق وما يكتنفها ويحيط بها من الغوطة الغناء: " جنة المشرق،

---

[1] – أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني المعروف باسم ابن جبير الأندلسي ولد في بلنسية سنة 540 هـ 1145م، هو جغرافي رحالة، كاتب وشاعر أندلسي عربي، توفي في 614 هـ.

[2] – محمد رضوان الداية، **في الأدب الأندلسي**، ص: 271.

[3] – محمد رضوان الداية، **في الأدب الأندلسي**، ص: 271.

[4] – نفسه، ص: 271.

ومطلع حسنة المونق المشرق. وهي خاتمة بلاد الإسلام التي استقريناها، وعروس المدن التي اجتليناها قد تجلت بأزاهير الرياحين، وتجلت في حلل سندسية من البساتين؛ وحلت من موضوع الحسن بالمكان المكين، وتزينت في منصتها أجمل تزيين ... ظِلّ ظليل وماء سلسبيل؛ تنساب مذانبه انسياب الأراقم بكل سبيل؛ ورياض يحي النفوس نسيمُها العليل [1].

ومن رحلته في وصف حمص، سالكا طريقه إلى دمشق وتجد في هذه البلدة عند إطلالك عليها من بُعد، في بسيطها ومنظرها وهيئة موضوعها، بعض شبه بمدينة إشبيلية من بلاد الأندلس يقع للحين في نفسك خياله، وبهذا الاسم سميت في القديم، وهي العلة التي أوجبت نزول الأعراب أهل حمص فيها حسبما يُذكر، وهذا التشبيه وإن لم يكن بذاته، لمحة من إحدى جهاته [2].

6-4)- رحلة ابن سعيد المغربي الأندلسي الغرناطي: [3]

في القرن السابع الهجري، وقد تنقل ابن سعيد في تجواله من المغرب في مختلف الأمصار، والتقى بأكابر العلماء، ورأى أفضل الكتب. وعبّر عن حبه لوطنه بأشعار عاطفية عميقة، ووضع سائر المدن التي زارها في مرتبة دون مرتبة مدن الأندلس وأنا أقول كلاما فيه كفاية منذ خرجت من جزيرة الأندلس وطفت بر العدوة، ورأيت مدنها العظيمة كمراكش وفاس وسلا وسبتة ثم طقت في أفريقية وما جاورها من المغرب الأوسط، فرأيت بجاية وتونس، ثم دخلت الديار المصرية، فرأيت الإسكندرية والقاهرة والفسطاط ثم دخلت الشام فرأيت دمشق وحلب وما بينهما، لم أر ما

---

[1] – نفسه، ص: 271.

[2] – نفسه، ص: 271.

[3] – علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف الغرناطي القلعي، ويعرف بابن سعيد، أبو الحسن، الأديب، الشاعر، الجغرافي، المؤرخ (610 – 685).

يشبه رونق الأندلس في مياهها وأشجارها إلا مدينة فاس بالمغرب الأقصى ومدينة دمشق بالشام وفي حماة مسحة أندلسية". [1].

وقد دوّن ابن سعيد أخبار ومعالم البلاد التي زارها في بعض مؤلفاته، ومنها " المغرب في حلى المغرب والمشرق في حلى المشرق "، ولابن سعيد رحلتان: " عدة المستنجد وعقلة المستوفز "، و " النفحة المسكية في الرحلة المكية".

[1] – نوال عبد الرحمن الشرايكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ص ص: 64–65.

المحاضرة الثالثة عشر: أدب التصوف

أولا- ماهية التصوف:

1- التعريف اللغوي:

ورد في معجم لسان العرب لابن منظور:" (ص.و.ف): الصوف للظأن وما أشبهه، أما الجوهري: الصوف للشاة والصوفة أخص منه، وابن سيدة يقول: الصوف للغنم كالشعر للمعز والوبر للإبل، والجمع أصواف".

كما وردت الصوفية في كتاب أساس البلاغة للزمخشري حيث يقول:" كان آل صوفة يجيزون الحاج من عرفات أي يفيضون بهم، ويقال لهم: آل صوفان وآل صفوان وكانوا يخدمون الكعبة ويتنسكون ولعل الصوفية نسبوا إليهم تشبيها بهم في النسك والتعبد أو إلى أهل الصُفّة فقيل: مكان الصّفِّية بقلب أحدى الفاءين واوا للتخفيف، أو إلى الصوف الذي هو لباس العُباد وأهل الصوامع.

2-التعريف الاصطلاحي:

عرف التصوف تعريفات كثيرة ومتعددة نذكر منها ما أورده ابن خلدون في قوله أن:" التصوف هو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة والعبادة".

كما عرف التصوف بأنه:" معراج روحي في مقامات يستهدف غاية مخصوصة، والصوفي الذي يبدا رحلته بغية الوصول إلى المعرفة يدعو سالكا يتقدم في مقامات أشبه بالأودية والعقبات خلال طريق طويل ينتهي به إلى الفناء في الحق".

وللتصوف خمس قواعد ينبني عليها وهي مماشية لتعاليم الدين مسايرة للشريعة من حيث أحكامها الباطنة ونواميسها الخفية وتلك القواعد هي:

1-صفاء النفس ومحاسبتها.

2-قصد وجه الله.

3-التمسك بالفقر والافتقار.

4-توطين القلب على الرحمة والمحبة.

5-التجمل بمكارم الأخلاق التي بعث الله بها النبي لتمامها.

ومراتب التصوف ثلاث هي:" درجة المريد الطالب: وهي أول خطوة في التصوف تليها درجة: المتوسط السالك: وصاحبها مطالب بالزيادة في العبادة، وأعلى الدرجات تسمى درجة المنتهى: وصاحبها ذو نفس وهمة وفضل ومن بلغ هذه الدرجة فقد بلغ الكمال وصار من أهل القرب والمكاشفات، وقد قيل: نهاية التصوف موهبة من الله.

ثانيا- الأدب الصوفي وأغراضه:

1- تعريف الأدب الصوفي:

يعرف الأدب الصوفي بأنه:" أدب إسلامي رفيع، وللصوفيين على اختلاف طبقاتهم مجال واسع في الشعر والنثر وباع طويل في كل أغراض الأدب، ومنزلة عالية في التجديد في معاني الأدب وأخيلته وأساليبه... وقد تناول الصوفيون في أدبهم كثيرا من دقائق الحكمة والتجربة، وحفل أدبهم بروائع المناجاة والحب الإلهي".

2- مراحل تطور الأدب الصوفي:

2-1- الشعر الصوفي:

ظهر الشعر الصوفي في أوائل القرن الثاني الهجري على يد الحسن البصري وتلامذته من بعده ويمكن أن نقسم مراحل تطوره إلى ما يلي:

- **المرحلة الأولى:** (100هـ-200هـ) وتشمل القرن الثاني الهجري بأكمله، والخلافة العباسية في بغداد، وفيها كان الشعر الصوفي يكون نفسه بنفسه، وينهض بتقاليده الفنية والفكرية ليؤصلها في أذهان الناس، وكان هذا الشعر الصوفي لمحات دالة، أو قليلا من الأبيات الموجزة ومن شعراء هذه المرحلة رابعة العدوية.
- **المرحلة الثانية:** وتشمل قرنين من الزمن هما (الثالث والرابع الهجريان) وقد كان الشعر الصوفي في هذه الحقبة في دور نهضة وازدهار ومن شعرائه: أبو تراب عسكر من حسين النخشبي، أبو حمزة الخراساني، المتنبي، الشريف الرضي وغيرهم.

يقول أبو تراب:

لا تخدعن فللحبيب دلائل ولديه من تحف الحبيب وسائل

منها تنغمه بمر بلائـــه وسروره في كل ما هو فاعـــل

فالمنع منه عطية مقبولة والفقر إكـــــرام وبر عـــاجل

- **المرحلة الثالثة:** وتمثل القرنين الخامس والسادس وفيها يتجه الشعر الصوفي إلى الحب الإلهي ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم، والشوق إلى الأماكن المقدسة ويدعو إلى الفضائل الإسلامية، وفي هذه المرحلة نشأ الأدب الصوفي الفارسي، ونبغ من الفرس: معروف البلخي والبستي، وفي هذه المرحلة ظهر شعراء العربية الكبار: الحصري ومهيار.

- **المرحلة الرابعة:** وتشمل القرن السابع الهجري وفيه بلغ الشعر الصوفي قمة نهضته ومن أعلامه: ابن الفارض، جلال الدين الرومي، محي الدين بن عربي، البوصيري، عبد العزيز الدميري، ابن عطاء الله السكندري وغيرهم.
- **المرحلة الخامسة:** من القرن الثامن وحتى اليوم، ومن أشهر أعلام التصوف فيه الشعراني والنابلسي.

2-2- النثر الصوفي:

النثر الصوفي باب واسع جدا يمتد من القرن الثاني إلى القرن الحادي عشر الهجري، وألوانه عديدة نذكر منها:

1-**الرثاء:** أثر عن الصوفية مراثي بليغة ، تميز بجودة المعنى وقوة السبك ومتانة الديباجة. ومن نماذجه قول ابن السماك في رثاء داود بن نصر الطائي:" إنَّ داود رحمه الله نظر بقلبه إلى ما بين يديه من آخرته ، فأعشى بصر القلب بصر العين ، فكان كأنه لا ينظر إلى ما إليه ينظرون ، وكأنكم لا تنظرون إلى ما إليه ينظر ، فأنتم منه تعجبون ، وهو منكم يعجب ، فلما رآكم راغبين مذهولين مغرورين ، قد أذهلت الدنيا عقولكم ، وأماتت بحبها قلوبكم ، استوحش منكم ، فكنت إذا نظرت إليه نظرت إلى حي وسط أموات "[1]

2-**الحكمة:** تميزت بعمق التجربة وصدق الرأي وسداد النظر وطول الخبرة فقد صبغت بصبغة روحية عالية.

3-**الزهد في الدنيا:** كثر في نثر الصوفية الحديث هن الزهد والانغلاق على النفس.

4-**النصائح والوصايا:** تميز هذا النوع من النثر بغزارة مادته وروعته في التصوير والبيان.

5-**الدعاء والمناجاة:** وهو أدب جم غزير موجه إلى الله عز وجل.

---

[1] عبد المنعم خفاجي : الأدب في التراث الصوفي ، ص83.

المحاضرة الرابعة عشر: الأدب الجزائري القديم

- تمهيد:

ازدهرت الدولة الرستمية؛ وكانت مدينة " تيهرت " عاصمة لها، فأضحت بذلك مركزا ثقافيا يضاهي بغداد وقرطبة، فعرف الجزائريون الثقافة ونبغوا في مناحيها منذ عهد سحيق، فالحركة الثقافية نشطت نشاطا لم تعرفه الجزائر من قبل، وقد شارك فيها أهل القيروان بعلومهم وأدائهم. وسميت **(تيهرت)** باسم " عراق المغرب" أو " بلخ المغرب " وقد شهدت انتشار المعرفة بها وازدهارها [1].

ظهر أول جيل من الأدباء الجزائريين الحقيقيين، وعالجوا الشعر وأحسنوا معالجته، ولكن، ظل يتسم بسمات المدرسة الشرقية المحافظة وأساليب هذا الشعر متينة بحيث لا نجد اختلافا من حيث الصناعة عما يعرف من شعر المشارقة على ذلك العهد. وأما الإنشاء فهو مرسل مطبوع لا يلتزم فيه سجع ولا يتكلف فيه تشويه ومن أشهر الشخصيات البارزة تذكر على سبيل المثال لا الحصر [2]:

*- الإمام أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن، الذي ترك خطبا ورسائل ذات طابع سياسي ديني، بالإضافة إلى مقتطفات شعرية.

*- أبو سهل، وله مصنفات احترقت في الفتن التي أصيبت بها تيهرت في أواخر الحكومة الرستمية.

*- أبو الفضل أحمد بن القاسم البزار.

---

[1] - محمد الطمار، **تاريخ الأدب الجزائري**، الشركة الوطنية للنشرو التوزيع، الجزائر، 1981، ص ص: 29-30.

[2] - المرجع نفسه، ص ص 31-38.

*- ابن الصغير الذي خلف كتابا تراكيبه أقرب من العامية منها إلى الفصحى.

*- يهودا بن قريش التاهرتي: وهو واضع أساس النحو التنظيري، وقد اهتم بالبحث في اللغات (العربية والعبرانية والبربرية والآرامية).

*- أحمد بن فتح التاهرتي: انتقل إلى المغرب الأقصى وكان أديبا وشاعرا، ومن شعره: "ساكنات البصرة:

ما حاز كل الحسن إلا قينة *** بصرية في حمرة وبياض

*- بكر بن حمادة ولد بتيهرت سنة 200 هـ (816م) وكان حافظا للحديث ونابغة في الشعر مما جعله يصاحب أدباء تصدروا الطليعة في ميدان القريض كأبي تمام، ودعبل الخزاعي، وعلي بن الجهم، ومسلم بن الوليد.

وفي الفترة الصنهاجية (405-547هـ/ 1014-1153م)، رزق الله الجزائر في هذا العهد ملوكا عنوا بالعلم وأهله فنهضت الثقافة على يدهم نهضة كبيرة. أسسوا المساجد والمدارس والمعاهد العلمية، وازدحم عليها الكثير من العلماء والحكماء والأطباء والدباء، وأهل الفنون الرياضية والهندسية. وهذه الوفرة من أهل العلم لم تعرفها الجزائر من قبل وحتى أيام بني رستم التي اتضحت نها الجزائر من معها الشخصية العلمية الجزائرية [1].

يرى **محمد الطمار** أن الجزائر في هذه الفترة عرفت أدباء كثيرين ذوي عارضة في الأدب، والأدب تقدم تقدما محسوسا من حيث الكم رأما من جهة الكيف فظل يتسم بسمات المدرسة الشرقية المحافظة في معالجة الشعر من حيث الموضوعات التقليدية، والتاريخ يثبت أن الجزائر كانت زاخرة بكتاب جادت أقلامهم بالمقالات العلمية والأدبية والخطب الدينية والسياسية والرسائل الرسمية الديوانية، فكان الإنشاء في صدر هذا العصر يسير على النظام المعهود من الكلام المرسل ولكن،

[1] - محمد الطمار، **تاريخ الأدب الجزائري**، ص ص: 45-46.

لم يلبث أن ارتقى، فتأنق الكتاب في إنشائهم شأن المشارقة وإن كان قد ضاع نتاج هذه الفترة بسبب الاضطرابات، ومن أشهر الشخصيات البارزة في هذا العهد تذكر على سبيل المثال لا الحصر[1]:

☚- أبو الحسن علي بن أبي الرجال الشيباني، ومن شعره:

خليلي، إن لم تساعداني فاقصرا * فليس يداوي بالعتاب المتيم**

تريداني مني النّسك في غير حينه * وغصني ريان ورأسي أسحم**

☚- ابن رشيق القيرواني: لقب بالقيرواني لطول مكوثه بالقيروان، وقد خلف ما يربو على ثلاثين كتابا، منها " الشذوذ في اللّغة " و " العمدة "، وهذا الأخير كتاب نقدي متصل بقضايا الشعر.

والجدير بالذكر أن ابن رشيق كان أول شاعر جزائري نظم في المجون والخمريات، ونحا نحو أبي نواس. ولابن رشيق كتاب هام عنوان " أنموذج الزمان في شعر القيروان ". ولفظ " الزمان " في هذا الكتاب يعني أن ابن رشيق قد خصص كتابه للشعراء والأدباء المعاصرين لعهده، والذي كان يعج بالكثير منهم بلاط معز ابن باديس الصنهاجي.

☚- عبد الكريم النهشلي: هذا الناقد الجزائري هو أستاذ الحسن بن رشيق القيرواني، وهو كاتب وشاعر بارع، ولد بالمحمدية التي نسميها اليوم المسيئة"، ورحل إلى القيروان واشتهر بكتاب في النقد عنوانه: " الممتع " طرح فيه قضايا هامة كمسألة القديم والجديد، ومسألة اللفظ والمعنى، والسرقات الأدبية، والطبع والصنعة.

☚- ابن قاضي ميلة: شاعر انتهج منهج عمر بن أبي ربيعة في الغزل فاعتمد الحوار القصصي في شعره.

---

[1] - نفسه، ص ص: 49-86.

☚- ابن الربيب: كتب في النثر والشعر، ورسالته عن ابن حزم الأندلسي أكبر شاهد على تفوقه في النثر الفني. كما تدل هذه الرسالة على أن الجزائريين كانوا على بينة من أخبار الملوك والأمراء والكتاب والوزراء.

☚- يوسف أبو الفضل بن النحوي تفنن في شعر التوسلات والابتهالات واشتهر بقصيدته المعنونة بـ: " المنفرجة ".

☚- أبو عبد الله بن محرز بن محمد الوهراني بذكر الوهراني تتذكر بديع الزمان الهمذاني، لقد شكل الوهراني ظاهرة فريدة في الأدب الجزائري على عهد الموحدين، وانتهج منهجا هزليا في أدبياته.

2)- فنون النثر الجزائري:

2-1- الخطب و الوصايا:

من الطبيعي أن تكثر الخطب و الوصايا مع الدولة الرستمية منذ تأسيسها سنة (160هـ /776م) إلى انتهاء مدة حكمها سنة (296- 908م)، وكان أئمتها لا يزالون يدعون رعيتهم في محيطها بتاهرت وخارج محيطها امتثال دعوتهم مع تقوى الله وخشيته والقيام بفروضه الدينية، وقد يطلبون إليهم في بعض خطبهم طاعة من يولونهم عليهم من ولاتهم، كما يلقانا عند إمامهم عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (171- 211هـ) حين رأى على تأهرت في غيبته عنها السمح بن أبي الخطاب نائبا عنه، فقد جمع زعماء تاهرت وأهلها وخطبهم قائلا:" قد علمتم – معشر المسلمين – أن السمح وزريري وأخص الناس بي وأحبهم إلي وأنصحهم لدولتي وأني لا أصبر على فراقه، وقد أثرتكم على نفسي، تتميما لرغبتكم، وها أنذا قد وليته عليكم فأحسنوا الطاعة والانقياد لأمره ما سار فيكم سيرة المسلمين، ولم يحد عن جادة العدل والإنصاف، ولم يرتكب ما يؤذن بسخط الرب أو بمخالفتنا [1].

[1] – شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي: عصر الدول والإمارات**، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، ص :222.

وعلى شاكلة هذه الخطبة كانت الوصايا في أيام هذه الدولة كوصية عبد الله اللواتي وزير أفلح بن عبد الوهاب (211– 240هـ):

" إني موصيكم إخواني ونفسي بتقوى الله العظيم في السر والإعلان، وباتباع آثار أهل دعوة المسلمين، فإن الاتباع أولى من الابتداع وعليكم بالإئتمار لما أمر الله به من طاعته، والانتهاء عما نهى عنه من معصيته، فاقتفوا آثار المسلمين فإن الله أوعد بالنار من خالفهم،

كما أوعد بها من خالفه وخالف رسوله، إذ قال تبارك وتعالى:" **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** " فاتقوا الله إخواني واحذروا مخالفة آثار أتمتكم في القليل والجليل... وعليكم بالحذر من الانهماك في الشر والخلاف بعد الزجر عنه فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك وغضب منه و قال: **أمنهمكون أنتم فيها** (أي الدنيا) **بعدما جئتكم بها (أي الرسالة) بيضاء نقية حنيفية سمحة سهلة** [1]. فهو يوصي هنا بالتقوى واتباع أهل الدعوة، فإن الاتباع كما يقول أولى من الابتداع، فلغته رصينة قوية، ويحتج بالقرآن والحديث النبوي ملوحا بهما من بعيد على صحة معتقده.

وتمضي بجاية وشرقي الجزائر في عصر الحماديين والموحدين ثم الحفصيين بالعناية في الخطابة والعظات، وتتردد في الكتب أسماء خطباء في الجامع العظم ببجاية أو بقسنطينة ولكن الكتب لا حتى بشظايا من خطبهم سوى أن يقال مثلا إن فلانا ولي خطابة الجامع الأعظم ببجاية تحتفظ أو جامع القصبة بها أو جامع الموحدين، وكان فصيح القلم واللسان، ويكتفون بذلك دون أن يذكروا شيئا من خطبه الفصيحة أو البليغة، أو يقولون مثلا إن أبا تمام الواعظ الوهراني سكن بجاية واشتغل فيها بالتذكير واستدعاء الخلق لباب الله تعالى، ولا تذكر لنا كلمة من مواعظه [2].

---

[1] – شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي: عصر الدول والإمارات**، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، ص ص: 222–223.

[2] – المرجع نفسه، ص: 224.

2-2)- الرسائل الديوانية:

طبيعي أن لا توجد الرسائل الديوانية في أمة إلا إذا وجدت فيها دولة، واتخذت لها كتابا يكتبون عنها الرسائل الديوانية، وكان قيام الدولة الرستمية في تاهرت مبشرا بأن تصدر عن حكامها رسائل ديوانية مختلفة، وقد توجد الدولة وتوجد الرسائل الديوانية ولا يوجد من يهتم بتسجيلها، غير أننا نجد رسائل الدولة الرستمية تدوّن ويتناقلها كتاب متأخرون مثل الشماخي في السير، والباروني في الأزهار الرياضية،

فمن ذلك رسالة للإمام عبد الوهاب (171- 211هـ) كتب بها إلى أهل طرابلس وكانوا يوالونه، وكان واليه السمح بن أبي الخطاب توفي، واستخلف بعضهم غيره وراجعوه، فكتب إليهم الرسالة التالية: أما بعد فإني أمركم بتقوى الله، والاتباع لما أمركم به، والانتهاء عما نهاكم عنه، وقد بلغني ما كتبتم إلي به من وفاة السمح واستخلاف بعض الناس (خلفا) له ورد أهل الخير ذلك، فإن من ولى (خلفا) من غير رضا إمامه فقد أخطأ سيرة المسلمين، ومن أبى توليته فقد أصاب، فإذا أتاكم كتابي هذا فليرجع كل عامل استعمله منكم السمح على عمالته التي ولى عليها إلا خلف بن السمح، فحق يأتيه أمري، وتوبوا إلى بارئكم، وراجعوا التوبة، لعلكم تفلحون". [1].

2-3)- الرسائل الشخصية:

يبدو أنه لم يكن بالجزائر اهتمام مبكر بتسجيل الرسائل الشخصية، وأول رسالة شخصية جزائرية مهمة عن الحقب الأولى رسالة أبي علي ابن الربيب الحسن بن محمد التميمي التاهرتي [2] الذي ترجم له ابن رشيق في كتابه " الأنموذج " وقال إنه تولى القضاء طويلا في بلدته تاهرت وإنه توفي سنة (420هـ / 1030م) ، ولم يذكر الرسالة ولا أشار إليها، وإنما ذكرها

---

[1] – شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي: عصر الدول والإمارات**، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، ص ص: 227-228.

[2] – شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي: عصر الدول والإمارات**، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، ص : 233.

ابن بسام في كتابه " الذخيرة "، إذ قال في ترجمة أبي المغيرة عبد الوهاب بن حزم كتب إليه أبو علي بن الربيب [*] رفعة يقول فيها:

" إنّي فكرت في بِلَدكُمْ أهل الأندلس إذْ كَانَ قرارة كل فضل، ومقصد كل طرفَ'، ومورد كل تحفة، إن بارت تجارة أو صناعة فإليكم تجلب، وإن كسدت بضاعة فَفِيهَا تنفق، مع كثرة علمائه ووفور أدبائه، وجلالة ملوكه ومحبتهم للعلم وأهله، ورفعهم من رفعه أدبه، وكذلك سيرتهم في رجال الحزب يُقدِّمُونَ من قدمته شجاعته، وعظمت في الحروب نكايته، فشجع عندكم بذلك الجبان، وأقدم الهيبان، ونبهَ الخامل، و علم الجَاهِل، ونطق العبي، وشعر البكي، واستنسر البغاث، وتثعبن الحفّاث، وتنافس الناس في العلوم، ثم هم مع ذلك في غاية التقصير ونهاية التفريط، من أجل أن في علماء الأمصار دونوا فَضَائِل أعيانهم وقلدوا الكتب مآثر أقطارهم، وأخبار المُلُوك والأمراء، والكتاب والوزراء، والقضاة والعلماء، فأبقوا لهم ذكرا في الغابرين، ولسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ[1]، وعلماؤكم مع استظهارهم على العُلُوم، كل امرئ مِنْهُم قائم في ظله لا يبرح، وثابت على كعبه لا يتزحزح يخاف إن صنف أن يُعنف أو تَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سحيق، [2] لم يُتعب أحد منهم في مفاخر بلده، ولم يستعمل نفسا خاطره في فضائل ملوكه، ولا بلّ قلما بمناقب كتابه ووزرائه، ولا سوَّد قرطاسا بمحاسن قُضاته

---

* - هو أبو على الحسن بن محمد بن الربيب التميمي القيرواني، أصله من تاهرت و مولده، نحو سنة 380هـ. نشأ ابن الربيب في القيروان و طلب العلم فيها، وقد عني به محمد بن جعفر الدراز القيروانيّ (ت 412هـ) عناية صحيحة فبلغ به نهاية الأدب (التأديب: التعليم) ونهاية علم الخبر (التاريخ) و النسب (أنساب القبائل)، وتولى ابن الربيب القضاء في تاهرت حينا فصار يعرف بالقاضي التاهرتي أيضا، صحب ابن الربيب بني أبي العرب فنال بهم وجاهة ومكانة: سئل عبد الكريم النهشلي يوما عن أشعر أهل بلد، فقال: أنا ثم ابن الربيب، وكانت وفاة ابن الربيب في القيروان، سنة 420هـ-1030.

1 – اقتباس من سورة الشعراء، الآية: 84.

2 – إقتباس من سورة الحج، الآية: 31.

وعلمائه على أنه لو أطلق مَا عَقَل الإغفال من لسانه، وسط ما قبض الإهمال من بيانه، لوجد لِلْقَوْلِ مَساءًا، ولم تضق عَلَيْه المسالك هنالك[1].

يرى **شوقي ضيف** من خلال نص الرسالة أن ما أصاب نثر الرسائل الشخصية من إحكام في الصياغة، حتى ليقترب أسلوب الرسالة من أسلوب الجاحظ وما اشتهر به من المزاوجة وكثرة الترادف، فالعبارات تتقابل دون أن تتحد نهاياتها بأسجاع متعاقبة، وإن حدثت سجعة عفوا سرعان ما يعدل ابن الربيب عن مثيلة لها إلى التعادل والترادف في العبارات،

ونشعر بجانب ذلك أن الصياغة محكمة، فالألفاظ جزلة مصقولة، أحكم ترتيبها كما أحكم وضع الاقتباسين القرآنيين فيها، مع الإطراف في الكنايات والاستعارات، كتعبيره في تكاسل الأندلسيين عن الكتابة عن أعلام بلدهم[2].

2-4- المقامات:

عرفت الجزائر – مثل بقية البلدان العربية – فن المقامات مبكرا، إذ كانت المقامات فنا جديدا أعجب به أدباء العرب في كل مكان وأخذوا يتدارسونه، ومن الكتاب الذين كتبوا في هذا الفن هو الوهراني (ت 575) [3].

ويذكر الغبريني في كتابه عنوان " الدراية" طائفة من الأساتذة كانوا يدرسون مقامات الحريري للطلاب خلال القرن السابع الهجري مثل: عبد الله بن نعيم الحضري، ويوسف بن يخلف، ومحمد بن الحسن بن ميمون القلعي غير أن أدباء الجزائر قبل العهد العثماني

---

[1] – أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، **الذخيرة في محاسن الجزيرة**، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1997، ص ص: 133-134.

[2] – شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي**، ص: 238.

[3] – رُكن الدّين أبو عبد الله محمد بن تحرز بن مُحمد الزهراني (؟ – 1179 م / 575 هـ) أديب وناثر مغاربي من أهل القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري عاش معظم حياته في المشرق. ولد في وهران ونشأ بها في فترة الركود الدولة المرابطية، قام برحلات إلى المشرق في 1156، وسكن دمشق بالدولة الزنكية وزار القاهرة الأيوبية، توفي في داريا قرب دمشق. خلف في الأدب " منامات ومقامات " ورسائل عديدة حلقه إبراهيم شعلان ومحمد نقش وجمعه في كتاب بعنوان " منامات الوهراني ومقاماته ورسائله " سنة 1968.

لم يحاولوا محاكاة الوهراني في مقاماته ولا محاكاة كتابها الأصليين من أمثال بديع الزمان الهمذاني والحريري، أما في عهد العثمانيين فتجد غير أديب يحاول كتابتها على نحو ما نجد عند أحمد البوني [1].

زار الشيخ الوهراني بغداد عام 567هـ، وكتب فيها هذه المقامة ليس فقط لوصف بغداد وأهلها بل لإبداء رأيه بالسياسة الدولية، وبقادة العالم بزمانه، آملا برفد الخليفة العباسي، قال الشيخ: لما تعذرت مآربي واضطربت مغاربي، ألقيت حبني على غاربي، وجعلت مُذهبات الشعر بضاعتي، ومن أخلاف الأدب رضاعتي، فما مررت بأمير إلا حللت ساحته، واستمطرتراحته، ولا وزير إلا قرعت بابه، وطلبت ثوابه، ولا يقاض إلا أخذت سيبه، وأفرغت جيبه فتقلبت بي الأعصار، وتقاذفت بي الأمصار، حتى قربت من العراق، وسئمت من الفراق، فقصدت مدينة السلام، لأقضي حجة الإسلام.

فدخلتها بعد مقاساة الضُّر ومكابدة العيش المر. فلما قرّ بها قراري، وانجلى فيها سراري طفتها طواف المفتقد، وتأملتها تأمل المنتقد، فرأيت بحرا لا يعبر زاخره ولا يبصر آخره، وجنة أبدع جناتها، وفاز باللذة سكانها لا يميل عنها المتقون ولا يرتقي إلى صفتها المرتقون، (كمثل الجنة التي وعد المتقون). فأرحت نفسي من سلوك الغور والفج، وجلست أنتظر أيام الحج، وتاقت نفسي إلى محادثة العقلاء، واشتاقت إلى معاشرة الفضلاء، فدلني بعض السادة الموالي إلى دكان الشيخ أبي المعالي، فقال: هو بستان الأدب، وديوان العرب، يرجع إلى رأي مصيب، ويضرب في كل علم بنصيب. فقصدت قصده، حتى جلست عنده، فحين نظر إلي، ورأى أثر السفر عليّ، بدأني بالسلام، وبسطني بالكلام، وقال:من أي البلاد خرجت؟ وعن أيها درجت ؟

[1] – شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي**، ص: 238.

فقلت من المغرب الأقصى، والأمد الذي لا يحصى، ومن البلد الذي لا تصل إليه الشمس حتى تكل أفلاكها، وتطح أملاكها، ولا القمر حتى يتمزق سرْجُه، ويتداعى بُرجه، ولا الرياح حتى يحجم إقدامها، وتحفى أقدامها.

قال: كيف معرفتك بدهرك، ومن تركته وراء ظهرك ؟

فقلت: أما البلاد فقد دستها و جُستها، وأما الملوك فقد لقيت كبارها وحفظت أخبارها، وقد كتبت في ذلك مجلدا وتركت ذكرهم فيه مخلدا. فأي الدول تجهل؟ وعن أيها تسأل؟

فقال: أول ما أسألك عن دولة الملثمين وأبناء أمير المسلمين، فقلت هيهات، يا بُعْدَ من مات خمدت، نارهم و بادت آثارهم واسْوَد نادِيهم، وملكَتُهُمْ أَعادِيهِم:

جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم . بعد الممات جمال الكتب والسير
أفلت بدورها، فتعطلت صدورها . وطلعت نحوسها، فغابت شموسها
أمست خلاء، وأمسى أهلها احتموا *** أختى عليها الذي أختى على تبي[1].

[1] – الوهراني، **مناماته ومقاماته ورسائله**، تحقيق: إبراهيم شعلان، محمد بخش مراجعة عبد العزيز الأهواني، منشورات الجمل كولونيا، ألمانيا، الطبعة الأولى، 1998، ص ص:21.

قائمة المصادر والمراجع :

أولا : القرآن الكريم

ثانيا : المصادر:

- ابن الاثير (عزالدين أبو الحسن علي بن محمد): الكامل ، ط2، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1976م.

- الثعالبي ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق ، مفيد محمد قمحه ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ج1.

- ابن عبد ربه، العقد الفريد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1942 م ،ج2.
- ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،تح، منذر محمد سعيد أبو شعر،المكتب الإسلامي ، ج1.
- أبو هلال العسكري ، جمهرة الأمثال ،ضبطه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، ج1.
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ) ، البيان والتبيين ،تحقيق وشرح ، عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي، ج4.

- الجاحظ(أبو عثمان عمرو بن بحر) ، الحيوان ، ط3، الحلبي ، القاهرة ، 1978م .
- الحريري ، مقامات الحريري ، تح: عيسى سابا ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، 1978م.
- الذهبي شمس الدين ، كتاب سير أعلام النبلاء،اشراف ، شعيب الأوناؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة ،1405هـ،1985م .
- الزمخشري : أساس البلاغة تح : محمد باسل ، ط1،دار الكتب ، بيروت لبنان ، 1998م ، ج1.
- السيوطي : المزهر في علوم اللغة وانواعها ،ط3، مكتبة دار التراث ، القاهرة ،ج1.

- الشنتريني أبو الحسن علي بن بسام ، الذخيرة في محاسن الجزيرة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1997م.
- الطبري، تاريخ الأمم والملوك تاريخ الطبري، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمان، الأردن، د- ط، د- ت.
- ، تاريخ الأمم والملوك تاريخ الطبري، ط2، دار المعارف ، مصر .
- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي) ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، إشراف : سعيد عبد الفتاح عاشور ، ط2، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، ، ج1.
- المراكشي عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، القاهرة، مصر، 1949م.
- المسعودي :مروج الذهب ومعادن الجوهر ، السفر الثالث ، قدم لها وعلق عليها :قاسم وهب ،منشورات وزارة الثقافة ، سوريا ،1949م.
- الميداني(أبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري) ، مجمع الأمثال، المعاونية الثقافية للأستانة الرضوية المقدسة .
- الهمذاني، مقامات الهمذاني، ،تقديم وصنعة: قصي الحسين، ط:1، دار الشمال-بيروت، ،1989م.
- عبد الله بن المقفع : كليلة ودمنة ، تح : عبد الوهاب عزام و طه حسين ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2012م.
- قدامة بن جعفر : نقد النثر ،تح :طه حسين بك ، عبد الحميد العيادي ،ط1، دار الكتب المصرية ، القاهرة ،1983م.
- ركن الدين الوهراني ، منامات الوهراني وحكاياته ، تح : منذر الحايك ، صفحات للدراسات والنشر ، دمشق ، سوريا ،ط1، 2011م.

- ، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله ، تح : إبراهيم شعلان و محمد نغش ، ط1، منشورات الجيل ، ألمانيا ،1998م.
-العلوي محمد بن طباطبا، عيار الشعر، تحقيق: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، لبنان، ط 2، 2005م.
- ابن النديم ، الفهرست ، دار المعرفة، بيروت.

ثالثا : المراجع :

- إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ط2، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1969م.
- أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، 1996.
- أحمد الشايب : الأسلوب ، مكتبة النهضة المصرية ، 2003م.
- أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي ، ط2، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2001م.
- امحمد يونس، في النثر العربي، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط 1، 1996م.
- أنطوان الفوال : فن الخطابة ،ط1، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1996م.
- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1980م.
- حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، ط2، دار الأندلس الطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1983م.
- حسين الحاج حسن، أعلام في النثر العباسي ، ط 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1993م.
- حسين بيوض، الرسائل السياسية في العصر العباسي الأول، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق، سوريا ، 1996م،

- حسين نصار، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1422هـ-2002م.
- حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1، 1986م.
- خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين ، ط15،بيروت –لبنان، ماي2002م.
- دينا ملكاوي، النثر الخيالي في الأندلس في القرنين الخامس والسادس الهجريين (التشكيل والتأويل)، وزارة الثقافة ،2017م.
- زكي مبارك : النثر الفني في القرن الرابع ، مؤسسة هنداوي ، 2013م.
- شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، ط10، دار المعارف ، القاهرة، مصر .
- ، العصر الجاهلي ، ط3، دار المعارف ، مصر ، 1978م.
- ، المقامة ، ط5، دار المعارف ، بيروت.
- ، العصر العباسي الأول ، ط8، دار المعارف، القاهرة ،ج3.
- ، تاريخ الأدب في بلاد المغرب عصر الإمارات، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1989م.
- ، العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- ، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات،_ط1، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، دار المعارف ، القاهرة ، 2018م.
- عبد العزيز عتيق ، الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان.
- عبد المنعم خفاجي ، الأدب في التراث الصوفي ،مكتبة غريب ، القاهرة ، مصر.
- ، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دار الجيل، بيروت، 1990م.
- عبد الهادي عبد النبي علي أبو علي، الأدب العربي في ظلال الأندلس، ط1، 1420هـ،1999م.

- عرفان عبد الحميد فتاح : نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ، دار الجيل ، بيروت لبنان ، ط1 ،1993م.
- علي الخطيب : اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وابن عربي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر.
- علي علي صبح : الأدب الإسلامي المفهوم والقضية ، دار الجيل ، بيروت ، 1992م.
- عمر الدقاق ، مواكب الأدب العربي عبر العصور، ط 1، طلاس، دمشق، 1988م.
- عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي ،ط3، دار العلم للملايين، 2008م.
- فايز القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار البشير للنشر والتوزيع ، 1989م.
- فوزي عيسى، الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002م.
- محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981م.-
محمد رضوان الداية، في الأدب الأندلسي، ط1، دار الفكر المعاصر ،لبنان، دار الفكر ، دمشق- سوريا ،2000م.
- محمد عبدالمنعم خفاجي، الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي ، دار الجيل، بيروت، 1990م.
- محمد كرد علي: أمراء البيان، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج1 ،2012م.
- محمد مسعود جبران – الرسائل المزاوجة في النثر الأدبي المغربي والأندلسي ، ندوة التراث المغربي والأندلسي القراءة والتوثيق، 1991، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة عبد الملك السعدي بتطوان. المغرب.
- محمود رزق سليم، الأدب العربي وتاريخيه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث.
- مي يوسف خليف : النثر العربي بين صدر الإسلام والعصر الاموي، دار قماء للطباعة والنشر.

– نوال عبد الرحمن الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ط1،دار المأمون للنشر والتوزيع ، الأردن،2008م.

– نبيل خالد رباح أبو علي، نقد النثر في تراث العرب النقدي حتى نهاية العصر العباسي 656 هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993م.

– ابن هشام : السيرة النبوية ، تح : مصطفى السقا وآخرين ، دار الوفاق ، بيروت ، ج1.

– واضح الصمد : أدب صدر الإسلام ،ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت ، لبنان ،1994م.

رابعا : المعاجم :

– الأزدي(أبوبكر محمد بن الحسين بن دريد): جمهرة اللغة ، تح: رمزي منير بعلبكي ، ط1، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ج1، 1987م.

– الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،تح ،أحمد عبد الغفور عطار، ط4 ،دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان، 1987م .

– الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005م.

– ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين): لسان العرب ، ط1، دار صادر، بيروت ، ج11.

– مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، ط5، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ،1432هـ-2011م.

– محمد التونجي : المعجم المفصل في الادب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ج2، 1999م.

د.سامية قاع الكاف
مقياس النص الأدبي القديم
النص الأدبي القديم (نثر)
المحاضرة1
النثر الفني وأهم موضوعاته
نشأة النثر الفني
تطور النثر في العصور
المحاضرة2
الخطابة
تعريف الخطابة
خصائصها
أنواعها
المحاضرة3
الأمثال والحكم
التعريف بالمثل والحكمة
الفرق بين المثل والحكمة
مميزات الأمثال والحكم
المحاضرة4
الحكاية
تعرف الحكاية
أنواعها
كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع
المحاضرة5
المقامة
تعريف المقامة
موضوعاتها
مقامات بديع الزمان الهمذاني
المحاضرة6
الرسائل
ماهية الرسائل
أنواع الرسائل وخصائصها
المحاضرة7
الرحلة
ماهية الرحلة
أدب الرحلة وأهميتها
خصائصها
المحاضرة8
التصوف
الأدب الصوفي وأغراضه
ماهية التصوف
النثر الصوفي